الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

تشرين الثاني ١٩٩٢

الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش

FONDATEUR
ET REDACTEUR EN CHEF
Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤ — PH 229984
ص . ب / ٢٥٧٠ / — B.O.P. 2570
دمشق — DAMAS

تشرين ثاني ١٩٩٢

محتويات العدد

كلمة أخصائي

في قول سائر بين المحصلين

بقلم: الأستاذ سعيد الأفغاني

لكل من علوم اللغة العربية منهج خاص متعارف بين المتخصصين ، لا يجوز الخلط بين مناهجها ، فمنهج متن اللغة غير منهج النحو ، غير منهج البلاغة ، غير منهج العروض ٠٠ وعمدة متن اللغة النقل الصحيح عن أهل اللسان المتفق على فصاحتهم والاحتجاج بأقوالهم والقياس على ما ثبت منها واطرد ولم يشذ ٠ وهذا ما حفظ للغة سلامتها ورواءها على الدهور ، فإن خالف شيء من ذلك القواعد المطردة ، وثبت سماعه عن أهله سماعا صحيحا لا شائبة فيه ، حفظ ولم يقس عليه ، كالضرورات الشعرية ٠

أما مرجع هذا السماع فالإمعان المتروي فيما في كتب اللغة الموثوق بها عند علمائها ، وتجنب ما عرف منها بوهي الثقة أو تسقط الشوارد والنوادر ، أو التهاون بثبت الرواية ككتب المحاضرات والقصص والاخبار ٠

وليس لكل قارىء غير متخصص أن يعجل الحكم على ما خيل له عفو الخاطر ، فإن قراءة سريعة في معجم لم يعرف بالثقة عند العلماء، مورطة في زلل ، بل أحيانا في فضيحة ٠

أهم ما أذكر في هذا الموضوع كلمة " إخصائي " ، وبعضهم يلفظها تنطعا بالتشديد " أخصائي " يريدون بها معنى (اختصاصي) ، فلا تتبع تاريخها منذ شاعت في المئة السابعة للهجرة إلى أول هذه المئة الخامسة عشرة في أيامنا هذه وقد ثار حول هذا الاستعمال جدل كثير ، بعض أنكره كل الإنكار ، وبعض آخر من محبي التفاصح تساهل فيه ، وفريق ثالث جاهل استعمله فيما يكتب في بعض الجرائد والمجلات حتى كادت تعم فيه البلوى في لوحات أرباب المهن المحترفين في الأسواق اليوم ٠

في سنة ١٩٠٨م نشرت مجلة (المقتبس) وكانت تصدر يومئذ أيام حكم الاتراك في القاهرة في عددها الثالث ص ٩٠ ، لصاحبها الاستاذ محمد كرد علي رحمه الله ، وكان يعنى بالموضوعات الاجتماعية عنايته بالموضوعات الأدبية - نشرت مقالا بعنوان (الإخصاء في العلوم)، بداته بقوله :

" المخصي " هو الذي يتفرد بدراسة فن واحد ، من (أخصى الرجل إذا تعلم علما واحدا "٠

وهذه الكلمات الست بين القوسين منقولة بنصها عن القاموس المحيط في مادة " اخصى " لا في مادة " خص " حيث يجب أن تكون ، في محلها الطبيعي ، ثم أتى الزبيدي شارح القاموس، ولعله نوى إبراء ذمة صاحب القاموس فزاد :" نقله الصفاني وهو مجاز " ٠ وأهمل ذكر المصدر الذي اعتمد عليه الصفاني فبقي هذا المصدر مجهولا ، موضع ريبة ، لا نور له من بين يديه ولا من خلفه ٠

أصل البلاء إذا الصاغاني ، وقصته أنه أراد أن يستدرك على الجوهري مافاته من اللغة في كتابه العظيم (تاج اللغة وصحاح العربية المعروف اختصارا بـ (الصحاح) ، فألف كتابه (التكملة والذيل والصلة ، وفي هذا الكتاب أثبتت الكلمات الست كما نقلها القاموس المحيط (أخصى الرجل إذا تعلم علما واحدا) فعلمها أن أول من أخطأ فوضع هذه الجملة في غير محلها الطبيعي هو

الصفاني ، وأن مكانها الطبيعي هو مادة (خص) لا (أخصى) ، بدليل ظاهر جدا هو أنها بهذا المعنى أثبتت في كل المعجمات في مادة (خص) ولعل التشابه بين رسمي الكلمتين أو غيره من الاحتمالات هو السبب ، لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا قولنا : أفلم يسأل صاحب القاموس نفسه ، أو شارحه ، أو كل ناقل عنه او عن الصفاني :ما العلاقة بين معنى (أخصى) ومعاني (الاختصاص) بجميع مشتقاته ؟ افلم يلفت نظرهم هذا الانبتات الصارخ بين المعنيين ؟ أم هو درس للمتأمل الحائر أن لو كان أحد ينجو من سهو أو غفلة ، وهو مكب على عمله لكان هؤلاء الفضلاء ، فلنلق نظرة على حال كل من الصفاني والفيروز ابادي من الرواية والضبط :

يذكرون الصفاني المتوفي سنة ٦٥٠ هـ بكثرة تآليفه في اللغة وعنايته بالنوادر والشوارد ، فجمع منها ما لم يجمع غيره ، وهو كثير الترحال ولقاء الرجال ، والاستبضاع من الرواية والرواة والمصادر ، إلا أن شأنه شأن غالب المكثرين : يتسرعون في النقل والإثبات تسرعا لا يجنبهم الزلل ، وقد عرف العلماء ذلك من أمره ، وأتوقع إذا طبع له كتاب طبعة محققة ، أن نرى فيها من الحواشي المشيرة الى مادة في غير موضعها ، أو كلمة مصحفة ، أو ضبط غلط ٠٠ الشيء الكثير دون أن أستكثره ، وآخر ما اطلعت عليه من كتب " طبعة محققة لكتابه (العباب)، نشرها المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٨م ، فقد عدد محقق (العباب) الأستاذ خير محمد حسن مآخذه على الصفاني و(في جملتها (أنه كان ينتحل أقوال العلماء ، ولا ينبه عليها إذا أخذ منهم) ، وكذلك أخذ عليه محقق كتابه (الشوارد في اللغات) الأستاذ مصطفى حجازي في مقدمته الواقية أنه " لم يراع الترتيب الداخلي للكلمة ، وربما أدخل في بعض الحروف كلمات ليست منها " (٢) ٠

والصفاني نفسه أثبت اللفظ الصحيح لهذا المعنى في كتابه (التكملة والذيل والصلة) كغيره من المعجمات ، ففي مادة (خص) قال :(فلان مخصي بفلان أي خاص به) ، فالمصدر(إخصاصي) لا (إخصائي) ٠

والصفاني نفسه أيضا نبه في خاتمة كتابه (مجمع البحرين) فقال : " وقد ذكرت في خاتمة " مجمع البحرين " من تأليفي صوتي إياه عن الشوارد " ٠ وهذا مشعر بعدم الثقة بها، وأنه صفي (بجمع البحرين مما في كتابه (الشوارد)

وأما الفيروز بادي فتآليفه أيضا كثيرة ، وعني بكتب سابقة الصفاني واهتم بها وأراد أن يجمع بين (المحكم) لابن سيده ، و (العباب) للصفاني ، وتوقف العلماء في قبول بعض دعاويه، قال ابن حجر : " كان الفيروز بادي " يرفع نسبه الى أبي اسحاق الشيرازي ، وكان الناس يطعنون في ذلك مستندين الى ان الشيخ الشيرازي لم يعقب ، ثم ارتقى فادعى ، بعد أن ولي قضاء اليمن ، أنه من ذرية أبي بكر الصديق وعقب ابن حجر : " ولم يكن مدفوعا في معرفة ، إلا أن النفس تأبى قبول ذلك " وسافر الى اقاليم عدة ، وسمع بها ، وجال فيما بين الأناضول الى اليمن والهند ، وحظي عند ملوكها ، وولي القضاء في بلاد عدة ، وألف في الحديث كتابه (الشيخ الجاري في شرح صحيح البخاري الذي قال فيه ابن حجر : " ملأه بغرائب النقول " ٠ ولما اشتهرت مقالة ابن عربي في اليمن ، صار يدخل منها فيه فشاته " (١) ٠

وعلى هذه الشاكلة من عدم التثبت ، نجعل نقله الساهي عن الصفاني تلك الكلمات الست (أخصي الرجل تعلم علما واحدا) في غر موضعها الصحيح ، وغرر بالذين نقلوها اعتمادا عليه من شارح القاموس الزبيدي وممن بعده الى

اليوم ، خالفا عن سالف ، هكذا بلا عزو ، ولا علاقة بما قبلها البتة ٠

هذا في زمن الصفاني ، المتوفي سنة ٦٥٠هـ ، والفيروز ابادي المتوفى سنة ٨١٦هـ والزبيدي ١٢٠٥هـ ، فماذا في زماننا الذي عشناه حتى الآن ؟ سأقصر الكلام على عملين حديثين : معجم ، وكتاب تصدى لتصحيح أغلاط دارجة،

١- المعجمات التي أخرجتها البلاد العربية في الشام ومصر وغيرهما في القرنين التاسع عشر والعشرين ما بين مختصرة ومتوسطة ومطولة كثيرة وأغلبها قام به أفراد ، فهي أعمال شخصية لا يسأل بها إلا أصحابها الذين هم بين متعلم ومتعالم ، وجاهل مركب الجهل (٢) وما بين بين وعالم ، وغالبها تعرض للملام والطعن ، تتسم كلها بالجرأة والاقتحام ، حيث يتخوف العلماء مزالقها مستعظمين ما تتطلب من استعداد وقلما نجا أحدها من الملامة والذم ، وكان ضررها محققا ونفها موضع ارتياب ٠

اخترت من هذه الاعمال اللغوية ، معجما أراد صاحبه الفاضل ان يحمل ما تنوء به العصبة أولو القوة فرزح تحته ، ولم يستطع الوفاء بما عزم عليه ، وعذره عندي أن ماخطط له فوق طاقة الفرد بأضعاف ، فكان من الطبيعي أن يقف في أول الطريق على رغم ما بذل من جهد على مدى سنين ٠

وكان طموحه يحتاج إلى أموال وقوة بدن، وتمام عافية لم يؤتها ، وما يقتضي عمله من مراجعة وتحقيق ثم إعادة نظر ، وتمكن في العلوم واللغات ما لايقوم به العشرات ٠

ذلك هو " المرجع " وصاحبه الاستاذ الصديق الشيخ عبد الله العلايلي أحسن الله اليه ، فقد أراده معجما وسيطا علميا لغويا فنيا مرتبا وفق الفرد بحسب لفظه " وألزم نفسه ذكر المقابل الفرنسي والمقابل الانكليزي فحوى جزؤه الاول المواد اللغوية بين الالف وكلمة (جدا) في ٧٣٦ صفحة ، بالحرف الصغير الذي لا يبين للعين السليمة الا بمنظار هذا عدا قسمه الفرنسي

ويعنينا منه الان لبحثنا ، تناوله كلمة (الإخصاء) هذه ، وكنت أقدر أنه سيمر بزلة الصفاني غير عابىء البتة ، وكان من وراء تقديري القدر - فانجر الى المزالق ، بل زاده توسيعا ، إذ كان في عبارة الصفاني ست كلمات فقط ، فزادها شرحا ومكن لها بزوائد طفيلية عن يمين وشمال حتى صارت أسطرا ، وجعل لها في التعريف المكان الاول قائلا :

" الإخصاء مصدر من (خصي) كذا لاقتصار على فرع واحد من فروع العلم المعرفة من العلم ، أي أفرده ولم يعدد ، سقيم ٠٠ ومن المنسوب الإخصائي " انج) و فر

المستحكم العلم في شيء ما ، وله ايضا متخصص وهو أصح "

وقوله (وهو أصح) غير دقيق والصواب أن يقول: (وهو الصحيح)

هذا المعجم (المرجع) مدد المعنى المزعوم الذي لم يزد في (القاموس المحيط) على ست كلمات عن الصفاني جعل له إضافات عن يمين وشمال حتى كأنه هو المعنى الاساس في الكلمة ، على غير ما يسوغ في المعجمات الأصولية ذوات المنهج الملتزم ، بينما لم يحظ المعنى الأم بأكثر من كلمتين على وفي هذا بعض الإخلال في التوازن الواجب ، الذي يفرق بين المعنى الأصلي للمادة والمعاني الفرعية ٠

ويجب ألا نغفل ، مع ذلك ، أن سعة الميدان الذي أخذ المؤلف نفسه بالجولان فيه لا تدرك ، وأنى لفرد واحد مهما يؤت من بسطة في الامكانات ، أن يملك قدرات متخصصين متعددين في تخصصاتهم ، ليكون لهم معجم متعدد الأهداف (وسيط . علمي ، لغوي ، فني، مرتب وفق المفرد بحسب لفظه ، وإزاء كل لفظ

فيه مقابله الانكليزي، ثم مقابله الفرنسي) ؟؟

أرجو ألا يكون هذا أمثال هذا المأخذ كثيرا في (المرجع) ، فإني أعرف صاحبه الصديق ، بكثرة الاطلاع وسداد الادراك في اللغة، وعذره عندي أن طموحه فاق قدراته ، وجاوز بعيدا المدى الذي ظنه كافيا لهذا العمل ، إن هدفا واحدا من هذه الأهداف الثمانية ، التي حددها لمعجمه ، لخليق باستنزاف سنوات من أعمار المجدين المتخصصين ٠

أما العمل الثاني فكتاب (قل ٠٠ ولا تقل) للأستاذ مصطفى جواد العراقي رحمه الله فقد عرض لكلمة (إخصائي) بقوله ص ٩٧ : " قل متخصص بالعلم ، ولا تقل : إخصائي " ولو اكتفى بقوله هذا لكان طبق المفصل وأوجز ، لكنه أراد شاهدا عليه وتعليلا له وتوسعا ، فحاد عن سواء السبيل :

أولا - أما شاهده فقوله : قال جار الله الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار وهو كتاب مشهور : " إن من لا يعلم إلا فنا واحدا من العلم ينبغي أن يسمى خصي العلماء (١) "

ويفهم من قوله (ينبغي أن يسمى) أنه لم يقع ولم يسم ، والزمخشري يقترح أن يسمى بذلك ، أما الاستاذ جواد ففهم العكس ، ومضى يعلل قائلا : " والسبب في ذلك أن الوقوف على علم واحد عند القدماء كان عجزا وعيبا ، ومن لفظ الخصي المذكور في ذلك ، أخذوا الفعل (أخصي يخصي)، والمصدر (الإخصاء) ٠ فمعنى أخصى فلان صار خصيا (كذا) في العلم ، مثل اثرى صار ثريا ، وأفصح صار فصيحا ، (كذا ايضا) قلت : لا يلزم من كلام الزمخشري ما فهمه الاستاذ ٠

ثانيا - وتابع الاستاذ جواد تعليله مازجا به استنباطا اخر غير صحيح أيضا بقوله :

قال صاحب القاموس المحيط : " وأخصى تعلم علما واحدا " (٢) فاستنبط منه ما لايدل عليه ،قال :" وفي قوله اشارة الى أنه لم يتقن العلم الواحد (؟) " ولو كان فيه دلالة على الاتقان لقال : " علم علما واحدا وأتقنه وبرع فيه وتبحر فيه وما إلى ذلك (؟) ٠ فالإخصاء أقرب الى الذم من التصريح به (كذا) ،ثم إن قباحة اللفظ تدل على قبح معناه ،وقد أحس بذلك من اختاره لتأدية معنى (سبسباليست)الفرونسية الخ (من هو) ٠

وختم المؤلف كلامه بحكم صحيح سديد بقوله : " فأنت ترى أن (الاخصائي) اسم قبيح في المعنى وغلط في الوضع " قلت : ليته أراح القارىء من تعليلاته واستنباطاته ، واقتصر على السطر الاول وهذا السطر الاخير ٠

مولد هذه الزلة إذا ، المئة السابعة للهجرة، ولم تعرف في علمي من قبل ٠ أما المعنى فاطلبه في مادته الخاصة في المعجمات ، حيث تجد في مادة (خ ص ص) : خصه بالشيء وخصصه ، واختصه ، أفرده به دون غيره ٠ ويقال : اختص فلان بالامر ، وتخصص له إذا انفرد به ، ويقال : فلان يخص بفلان ومخص بفلان أي خاص به (١) ، فالكلمات إذا : (اخص إخصاصا) لا (أخصى إخصاء)

وعلى هذا فالاسماء هي : (اختصاصي ومختص ومتخصص ، ومخص ، ومخص و خصاصي) كل اولئك صحيح فصيح ، اما (إخصائي) فخطأ فاحش قبيح ٠

زلة الصغاني تلك في المئة السابعة للهجرة هي التي أزلت صاحب القاموس المحيط في المئة التاسعة وأزلت من تبعه ، تقليدا دون انتباه ، حتى يومنا هذا في المئة الخامسة عشرة ، وهذا هو الذي كان ينعته أهل العلم قديما بـ (الصحفية) فإذا قالوا : (فلان صحفي) عنوا أنه

أخذ علمه من الصحف ، بغير استاذ يقرنه العلم فيزل بما تحوي الصحف ، من خطأوتصحيف، وزيادة ونقصان ، اما الاخذ عن شيوخ المختصين، فهم يبصرونه بخطئنها فيجتنبه ، وبصوابها فينشره ·

جنبنا الله الزلل ، وهدانا الى السداد والرشاد · (٢)

سعيد الافغاني

هوامش

(١) العباب : ط ١ ق ١ طبع المجمع العربي العراقي تحقيق الاستاذ خير محمد حسن ·

(٢) ص ٣٤ طبع مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٨٣ م، كالكلمات الست التي أدخلها في معاني أخصى من كتابه (التكملة والذيل والصلة) طبع مجمع اللغة العربية ٦-٤٠٨ -٢ ونقلها عنه القاموس المحيط مادة (خصي)

----

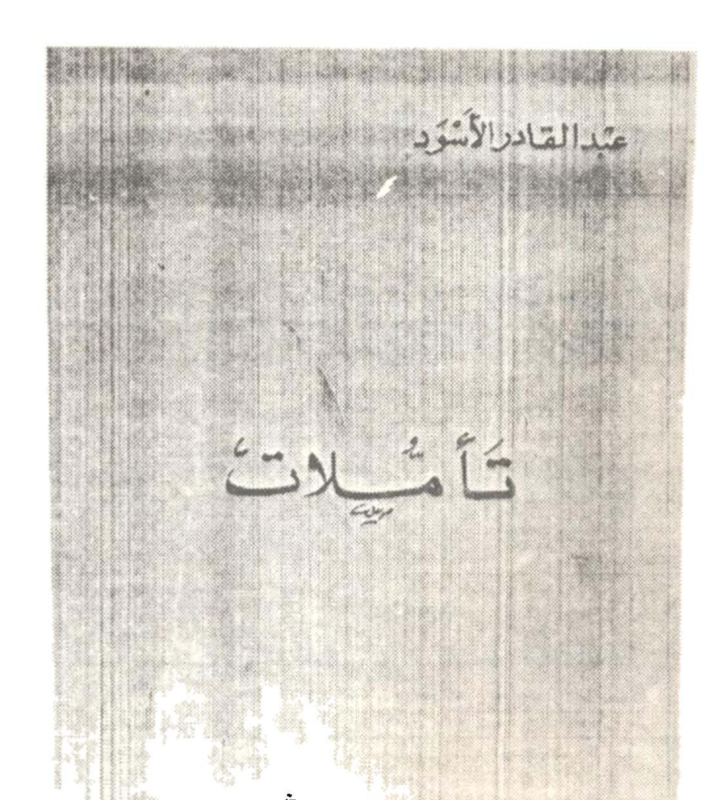
(١) العباب : تحقيق الاستاذ خير محمد حسن ط المجمع العلمي العراقي ج ١ ق ١

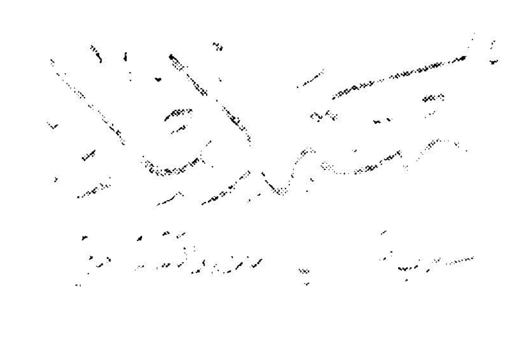
(٢) ص ٣٤ طبعة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٨٣م

(٣) لا يدري ولا يدري انه لا يدري ·

----

(٨) كتب الاستاذ فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية سنة صدور المعجم ١٩٦٨م صفحتين لتكون للمعجم كالتمهيد فلم تمهد لشيء بل وجدها فرصة قنصها ليبالغ في الاشادة بكثرة المعجمات اللبنانية ·





هاتف منتصف الليل

شعر: جابر خير بك

في هدأة الليل والأجفان في الوسن
يرن هاتفك المأمول يوقظني
فتحتُ عيني وطيب النوم يثقلها
وكان في مقلتي حلم يداعبني
صحوتُ واهتز قلبي في مخابئه
والخوف يأكل من روحي ومن بدني
مددتُ كفا بأعصاب محطمة
وقلت سترك يا ربي من المحن
أهلا وجاوبني صوت أحن له
وراح فوق جناح الشوق يحملني
" بابا " ورددها في الأذن صافية
إغفر ذنوبي فإن الوجد يقتلني
إني أزف لك البشرى وروعتها
فقد تخرجت بعد الكد والإحن
ولست أملك صبرا للصباح وقد
بات النجاح مع الأفراح يسكرني
فلا تلمني إذا ضيعت غفوتكم
فأنت دوما على الأخطاء ترحمني
يا والدي فرحتي الكبرى أقدمها
الست في كل أفراحي تشاطرني ؟

* *

هتفت والشوق لا أدري مصادره
وكل عضو بأحنائي يدغدغني
" بابا " وحبكِ طاب الآن في نظري
عمري ومن فرحتي العينان في هَتَن
أعوامك العشرُ مرت وهي خانقة
وأنت عن ناظري ناءٍ وعن سكني
فأنت بكر أحبائي ونافذتي
على الوجود : على إشراقة الزمن
هذه البشارة فاقت كل أمنية
ونورت بسناها عتمة الدجن
بوركت يا فارسا رغم النوى خفقت
أعلامك البيض في الآفاق والقنن
فقد قطفت ثمار النصر يانعة
وانعم الله بعد اليأس والحَزَن
فكم سهرتَ على الذكرى وغصتها
وكم تحملتَ بعد الأهل والوطن
وكم شربتَ الأسى في البعد واحتربت
خلف الضلوع جيوش الهم والشجن
حتى قضى الله في أمر وتوجه
بالنصر بعد إندحار الخوف والوهن
وقرَّ جفن المعنى بعد لوعته
وارتاح شط المنى في عودة السفن
قضيت كل حياتي ساهرا وجلا
حتى أرى فِلذة الأكباد تفتنني
وها أنا اليوم والأفراح أقطفها
كالطير يرقص صداحا على الفنن

أوزع الفرحة الكبرى وأنشرها
على شفاه الدنا في السر والعلن

* * *

" وضاح " يا بسمة الأيام في خلدي
ويا شذا الزهر في حقلي وفي غصني
أشرقتَ كالنور لماحا بباصرتي
ورحتَ تزهو ، بنصر باهظ الثمن
فكم تقلبت في هم وفي نصب

وكم تحملتُ من عسر ومن منن
وكم صمدتُ برغم الضعف منتصرا
على الزمان ، على الأحداث والفتن
حتى استقرتْ على الواحات راحلتي
بعد الهجير وقر الجفن في الوسن
فأنت جنة عمري والخلود بها
وأنت مفتاح أحلامي الى عدن
حملتُ كل هموم البعد مبتسما
واخترت للعيش ظهر المركب الخشن
قاتلت سود الليالي كي أرى بطلا
حر الضمير بوجه مشرق حسن
وما تخليتُ عن حب وعن جلد
لان الزمان وصبري فيك لم يلن
نسيت في لحظة نفسي ومحنتها
من صوتك العذب لما رنّ في أذني
وهمتَ أنشدُ أحلى الأغنيات كما
هام المصلون بالآيات والسنن

عمـري وما زال مرهـونـا لأفـئـدتـــي
وسـوف أحمـل حـب الأهـل في كفنـي

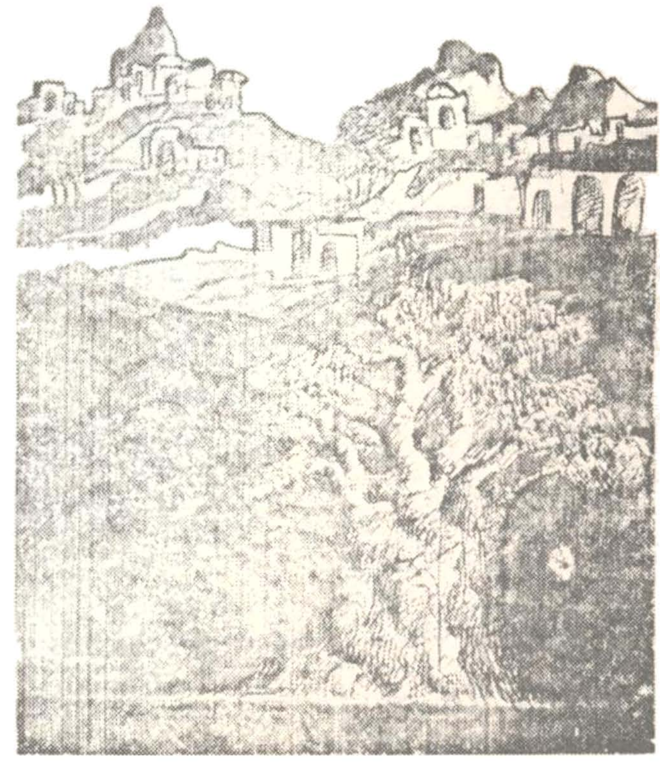
* * *

يا رب نـورّ دروب المـؤمنيـن هـدى
واحـم أحبـة هـذا القلـب مـن ضَغـنِ
يا رب حبـك لـم أشـرك بـه أحـدا
وهـل أبـدل حـب الله بـالـوثـن ؟ !!
يا رِب إنـي وهبتُ العمـر مقتنعـا
لـلأهـل والصحـب ·· لـلأولاد والـوطـن
فلا تروع فـؤادي في أحبـتـــه
واحفـظ بقيـة أيـامـي بـلا محـن

جابر خير بك

دمشق يا حبيبتي

شعر



أهداف الترجمة

بقلم: الدكتور أحمد رامز قطرية

كتب ويكتب الكثيرون عن موضوع الترجمة في كثير من المجالات الأدبية والثقافية والعامة وخاصة في الاونة الاخيرة ، وهذا يدل على الاهتمام الواسع بهذا النشاط والرغبة في العمل الثقافي الحضاري ٠ والمتابع لهذه المقالات والبحوث والكتب يرى الصالح فيها والطالح والمكرر والجامع لما قاله الاخرون ٠

ولكن قلما نرى من يكتب ويبحث في إطار اساسي وهو الاهداف المرجوة من الترجمة وكأن هذا الموضوع مسلم به ولا داعي للكلام عنه ولا داعي لتقصية ، فهو من البديهيات ٠ في كتابه الترجمة ومشكلاتها ، يتحدث ابراهيم زكي خورشيد عن دور الترجمة في الثقافة المعاصرة ويذكر أنه " ما من أمة في القديم أو في الحديث قامت حضارتها أو ثقافتها بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى ، ذلك أن تزاوج الثقافات هو الذي ينمي كل ثقافة ويثريها " ٠ وبعد أن يتحدث باختصار عن حركة الترجمة عند العرب ، يخلص للقول " ان أية أمة تترجم للحاجة والضرورة التي تبعث على الترجمة وتدعو إليها ، فقد تكون حاجة من الدين ، أو حاجة من العلاج، أو حاجة من التقدم الصناعي ، أو حاجة الى كشف المجهول ٠ كما نترجم للمتعة الروحية التي تشيع البهجة في النفس حين تقرأ أثرا من آثار غيرها ٠ ونترجم استكمالا لمعارفنا التي يجب ألا تقف عند حد ولا تنتهي عند غاية ، ونترجم تعزيزا لمقومات شخصيتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالا ، ونترجم تقوية لوشائج التفاهم الدولي بين الأمم ٠ ونترجم لتنفتح أمامنا نوافذ الفكر فنستطيع أن نطل على العالم وعلى من حولنا من نوافذ متعددة ، وبهذا تكون الرؤية أمامنا أوضح والصورة أقوى والافاق أرحب " (١)

وكلام الاستاذ خورشيد يتطرق الى موضوع اهداف الترجمة من منطلق شمولي ٠ وعندما يتمعن الانسان في أمر " أهداف الترجمة " لا بد أن يرى أن عدم المعرفة الدقيقة لأهداف واسباب أي فعالية يقوم بها يعني اهدار طاقاته وفشله في كثير من هذه الفعاليات ، وهذا يعني أيضا أن أي نجاح يصل اليه هو نجاح عشوائي ٠ ونحن في العالم العربي في اشد الحاجة لدراسة أسباب وأهداف الترجمة لأي نص نود أن ندخله بيتنا العربي ٠

من هذا المنطلق حين طالعني عنوان مقال الدكتور فؤاد مرعي (الموقف الأدبي ٢٤١-٢٤٢ أيار وحزيرن ١٩٩١- ص ٧-٢٦) " الترجمة ودورها في التفاعل الفكري بين العرب وأوروبا في العصر الحديث " أقبلت عليه بلهفة وشوق ٠ فقد خلت أن البحث سيدور عن الاهداف والاسباب التي دعت أمتنا للترجمة في العصر الحديث ٠ لكنني أصبت بخيبة أمل بعد قراءة الصفحة الأولى من البحث ٠ فالحادثة ذات المغزى التي يرويها الكاتب في تلك الصفحة ، وتفسيره لها ، كادا يبعداني عن متابعة البحث ٠ فالحادثة لها مغزى يختلف عما يراه المؤلف ، فهي تعطيه نعرة غير المتفهم لدور الترجمان المحلف ، ومعنى الترجمة الأمينة التي يلتزم بها ذاك الترجمان ، الحادثة باختصار ، تقول أن المؤلف حين حاول أن يحصل على ترجمة محلفه لشهادته التي تنص في الروسية على أنه حصل على درجة مرشح في علم الفينولوجيا والتي ترجمها السوفيتيون الى الانكليزية

(دكتور فلسفة في philology) رفض الترجمان المحلف العربي أن يترجمها الا بـ (دكتوراه في فقه اللغة) ورغم اعتراض المؤلف على أن اختصاصه لدقيق هو النقد الأدبي ، أبى الترجمان المحلف أن يغير رأيه ، وتقدم الكاتب بهذه " الترجمة الشوهاء " الى الجامعة • وبعد معاناة اقتنعت الجامعة بأن اختصاصه هو النقد الأدبي • وأراد الدكتور مرعي من الترجمان أن يترجم كلمة Philology بشيء آخر غير " فقه اللغة " او تعريبها لفظيا لتكتب " فيلولوجي " وهي كلمة غير عربية ، وكلمة " فيلولوجي " تعني فيما تعنى اللغويات التاريخية والدراسات الأدبية والدراسات الكلاسيكية • وان عدنا الى أصلها الاغريقي فانها تأتي من كلمة (Philologos) او محبة التعلم وان تتبعنا معاني الكلمة التي لم تعجب الكاتب " فقه " لرأينا أنها كلمة يدخل في نطاق معانيها " الفهم " اي العلم • وهذا يعنى ان فقه اللغة يعني فهمها وعلمها وهذا يعني ان الترجمة التي أعطاه اياها المترجم المحلف صحيحة ، وموقفه صحيح فهو شخص قد أدى اليمين أن يكون أمينا في الوصل بين لغتين وأنه عندما يترجم وثيقة قانونية ، عليه أن يلتزم بهذه الوثيقة وأن لا يخرج عنها ليدرس البرنامج الدراسي لصاحب الوثيقة ليقول ان هذه الشهادة في النقد الأدبي ، رغم أن هذا شيء ليس من اختصاصه بل من اختصاص ادارة الجامعة التي قبلت فيما بعد الشروح الخطية التي تقدم بها الكاتب لأن هذا من اختصاصها •

وأعترف أن هذه الحادثة التي وصفها الكاتب بأنها حادثة طريفة خلقت في كقارىء عدم تقبل لما سيقوله في بحثه • ووجدت الكثير مما يؤكد عدم قبولي لما يقوله في الصفحات التالية فقد وجدت فيها مغالطات منطقية ، ومتناقضات قولية وتعارض جمل مع بعضها ، غير أن لب البحث يأتي في النصف الثاني حيث يعطي نظرة موضوعية مسحية تحليلية عن حركة الترجمة بعد استقلال البلدان العربية •

وما يضيفه د • مرعي في هذا البحث يأتي في جملة بحوث جيدة أخرى عن مراحل الترجمة في العالم العربي الحديث منها ما كتبه أ•د• سيد دسوقي حسن عن " تطوير الترجمة في العالم العربي " الذي يقسم فيه مراحل الترجمة التي مر بها العالم العربي الى أربع مراحل :

(١) الحاجة أيام محمد علي •
(٢) الرومانتيكية في القرن العشرين كرد فعل للتفوق الاستعماري •
(٣) العشوائية حين ترجمت كتب ذات طابع خيالي
(٤) التزامية بعد الثورة المصرية •

أما من الناحية التنظيمية ، فان تطور الترجمة مر بمراحل : التنظيم ثم مرحلة الفردية ثم التنظيم ثم عاد الى العشوائية منذ السبعينات ويضيف د • دسوقي أن تطور الترجمة كان دائما متأثرا بنوعية القارىء وخاصة " وجود ايديولوجية سائدة تغشى الابصار عن الاتجاه لفكر مخالف " (٢) وفي هذا يتفق في كثير من النقاط مع ماورد في بحث الدكتور مرعي •

أعود الى اعتراضاتي على النصف الاول من البحث حيث يتكلم الكاتب عن الترجمة وكأنها حوار بين الشعوب ، عوض أن يراها اتصالا بين كاتب وقارىء أو مستمع ، فالحوار يتطلب طرفين كل منهما يبعث معلوماته وأفكاره ويستقبل الرد عليها من معلومات وأفكار الاخرين ، وهذا شيء يؤكد الكاتب - في النصف الثاني من بحثه - عدم وجوده في العالم العربي • ويفرق الكاتب في مكان آخر من بحثه بين الترجمة العلمية والترجمة الأدبية• فعنده أن مترجم النص الأدبي له هدف جمالي ، وللحصول على هذا الهدف ، له حق التصرف بالنص مضيفا وحاذفا " بل أنه يستطيع إعادة كتابة النص في صيغة جديدة دون أن تترتب على ذلك أية آثار سلبية من الناحية العلمية

" لا بد أن نضيف هنا " سوى الامانة ان لم يحذر المترجم القارىء بتصرفه " وحبذا لو أن الكاتب أضاف هذا التعبير . فالعمل الذي يأتي عن طريق صياغة جديدة لم يعد عملا مترجما بل عملا " إبداعيا " جديدا . وهذا مايقوله الباحث فيما بعد بأن ترجمة النص الأدبي " تتطلب من المترجم كفاءة عالية وحسا فنيا أصيلا ، ومعايشة للعمل الذي يترجمه ، وانسجاما مع مافيه لكي يتمكن من نقل الاصوات والكلمات والجمل والصور ، أي باختصار ، كل مافي النص من عناصر جمالية بأكبر قدر من الامانة . " أما القول عن مترجم النصوص العلمية من أنه يرتب عناصر الجملة بنفس طريقة اللغة الأصلية " حتى لو تنافى ذلك مع جمال الاسلوب ومنطق اللغة التي يترجم اليها" لأن هدفه نقل معلومات مفيدة وتوصيل رسالة معينة ، فهذا تصور متناقض . فالأمانة أن يوصل المعنى وهذا لا يتم الا اذا كانت الصياغة في اللغة المترجم اليها واضحة مفهومة تكون فيها عناصر الجمل مرتبة بالطريقة المألوفة للقارىء . والمترجم الذي يتبع الطريقة التي يصيغها الباحث في الترجمة العلمية ، مترجم فاشل ، أخفق في أداء واجبه لأن ترجمته تحتاج الى ترجمة لغوية في اللغة نفسها . والغريب أن الباحث يقول الصواب حين يقول " ان صدق الترجمة لا يقاس بالتزامها بالأصل فقط بل بالتزام النص المترجم باللغة التي كتب بها أيضا " . كما يقول الصواب حين يقيم الحرفية بأنها " لا تنتج الا نصا مثيرا للضجر " ولكنه يضيف شيئا يطبع في البحث بخط غامق وكأنه إضافة هامة : " ترجمة فنية رفيعة المستوى فنيا لا تنطبق تماما على النص الأصلي هي خير من ترجمة حرفية رديئة من الناحية الفنية " . وهذا ما معناه : ترجمة جيدة خير من ترجمة رديئة . أنحتاج الى بحث علمي لنصل الى هذه النتيجة وندونها ؟

ويتبع الباحث في تقسيمه طرق الترجمة الى نوعين جرى عليه العرب القدامى (٣) فيوحنا بن البطريق وابن الناعمه الحمصي ترجما ترجمة حرفية ، أما حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما فقد ترجما بتصرف .

ويقسم محمد ديدادوي أنواع الترجمة الى ثلاثة : الحرفية وشبه الحرفية والترجمة بتصرف (٤) أما يوجين نايدا في كتابه نحو علم الترجمة فيتحدث عن نوعين أيضا يصف أولهما بالرسمية والاخر بالدينامية (٥) وقد يكون التصنيف الثلاثي الذي قدمه د. مارتن كي في بحثه " معهد ترجمة للعالم العربي " مناسبا هنا اذ يقول أننا يجب أن نتوخى الدقة في ترجمة القانون والدين ، والاسلوب في ترجمة الشعر والادب ، والترابط في ترجمة العلوم (٦) .

ويتابع نص د. مرعي رحلته بين الخطأ والصواب ، فيبين عن حق ان على المترجم ان يفهم النص الاصلي فهما شاملا يفوق فهم القارىء العادي له بل يفوق فهم دارسه . وعلينا أن نضيف (مااعتقد ان الدكتور مرعي يوافق عليه) ان على المترجم ان يعرف لغة النص معرفة ظاهرية ومتمعنة ليفهم ما بين السطور ، وما خلف الفقرات وان يعي أبعاد النص الحضارية ففي خاتمة المطاف يقرأ المترجم النص ويفهمه بطريقة تعكس خلفيته الثقافية ، وبهذا ، رغم موضوعيته التامة تكون ترجمته قراءة للنص قد تختلف عن قراءة مترجم آخر ، او باحث او دارس آخر ، ويؤكد الدكتور مرعي هذا حين يقول أن المترجم الموهوب يسبغ ذاته على ترجمته . ويصيب الباحث مرة أخرى كما يفعل في أكثر بحثه عندما يقول ان الكتاب المكتوب باللغة العربية كتاب عربي سواء كان مترجما ام لا . لكنه يخطىء حين يقول ان للغة كتب قبل كل شيء ، فيناقض بهذا كل علماء اللسانيات ، فاللغة كلام ولفظ قبل كل شيء ولا بد وان الباحث يعرف هذا ولكنه يتحمس للكتب والافكار التي تنقلها فيقع في هذا

الخطأ لحبه للكتب وتقديره لها ٠

أعتقد أن الباحث مصيب في قوله ان اللغة العالمية هي اللغة التي يترجم اليها قدر كبير من كتب الشعوب الاخرى ، ولكني أعتقد أنه يخطىء بعد ذلك مباشرة عندما يعترض على اولئك الذين يقولون ان الغزو الثقافي يأتي عبر الكتب المترجمة فبقول ان الكتاب المترجم يعالج واقع البلد الذي كتب فيه وواقع البلد التي ترجم الى لغته أيضا ، فأن لم يفعل ذلك فانه لن يروج ، ولكن من البديهي - واستعير كلمة الباحث هنا - أننا اذا سلمنا بفائدة الكتب وتأثيرها الجيد والمثري ، أي بقدرتها على تغيير أفكار وعقول القراء ، فلا بد ان نسلم ايضا بأن الكتب قادرة على تغيير أفكار وعقول القراء بطريقة سلبية ، فها هي مكتباتنا وفي بعض مدننا بمقالاتنا تبيع قصصا رومانسية حديثة مترجمة كتبت في الغرب لتساعد ربة البيت الغربية على قتل او تضييع بعض من وقتها ، أتعبر هذه الكتب عن احتياجاتنا الروحية ٠

ما يسعدني ان الكاتب امضى بقية بحثه معطيا الامثلة الكثيرة عن دور الترجمة في عصر النهضة العربية الحديثة في تكوين الفكر العربي الحديث وبعض هذه الامثلة تؤيد كليا الفكرة التي تقول ان للكتب تأثير سلبي من نواحي متعددة ٠

حبذا لو لم يقرن الكاتب (ص١٣) مجيء قوى الاستعمار البريطاني والفرنسي بنشاط حركة النقل والترجمة واتساعها لتقدم للقارىء العربي روائع الادب العالمي وامهات الكتب الفكرية والفلسفية فهذا الربط بين الاثنين قد يوهم القارىء بأن الاستعمار كان سببا في تقديم بعض المنافع للقارىء العربي ٠

ولا شك في أننا جميعا نضم صوتنا لصوت الباحث في خاتمته حين يتحدث عما هو كائن في الترجمة وما يجب ان يكون وفي مطالبته بأن لا تكون الترجمة نوعا من النشاط الاقتصادي الذي تديره حفنة من المولين المغامرين ٠

في جزء من البحث الذي يتكلم فيه الباحث عن نتائج الفوضى في ترجمة النصوص البنوية يورد حكمه على بحث طلب منه ابداء رأيه فيه ٠ وكلماته في حكمه تصلح للكثير من الترجمات وخلاصتها ان الكثير من الترجمات ذات مستوى متدني ، لأن المترجم لم يفهم الاصل فهما كاملا فلم يستطع التعبير عنه في لغته تعبيرا صالحا دقيقا مفهوما ٠ وعدم الفهم هذا يعود لأسباب متعددة ، قد يكون أصعبها ما يبدو سهلا فيأخذه المترجم على ظاهره ، رغم أن تركيبته تعني شيئا يخالف تماما ما تدل عليه الكلمات ، وأعتقد أن الاكثر من يعرف ويدرس الترجمة توجد لديه امثلة تشبه المثالين التالين ٠ ورد في أحد النصوص تعبير يبدو سهلا يتحدث فيه سائق شاحنة مع سائق اخر ويذكر كلمتي " Double nickel" والكلمتان كل لوحدها بسيطة ٠ فالاولى تعني كلمة "مضاعف " والثانية " نيكل " أو " قطعة نقود خمس سنتات " ولكن المعنى المراد به هو " خمس وخمسون " ٠ وفي نص آخر وردت كلمتا " White wall" ، والمعنى الظاهر هو جدار ابيض ، بينما ما يعنيه النص هو " اطار السيارة الذي يوجد عليه خط ابيض ٠

وكما قلت في البداية فالدراسات الحديثة حول موضوع الترجمة كثيرة وتعالج نواحي مختلفة من الموضوع ، ونظرة لعناوين الفصول في كتاب الدكتور أسعد مظفر الدين حكيم ، علم الترجمة النظري (٧) وهو كتاب يبحث الموضوع بجدية وشمولية تحليلية ستعطي القارىء فكرة عن تنوع الموضوعات في هذا المجال ٠ وعناوين الستة عشر فصلا تعطي فكرة عن مشاكل الترجمة المختلفة ، فهي موزعة بين أهمية الترجمة ومعانيها وتعريفها ونظرياتها وشروطها وطرقها ٠

وتتعدد الأطر التي تبحث فيها مواضيع ومشاكل الترجمة ، وذكرت بعضا من هذه الأطر فيما تقدم ، وما يكتب عن اهداف الترجمة يكتب

بشكل عام عن الحاجة اليها وعن كونها ضرورة انسانية وقومية وأداة هامة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والاداب ، علاوة على أنها من عوامل النهضة (٨) ٠

ويكتب هذا وكأنه شيء مسلم به ولا حاجة للتحدث عنه ٠ ولا يختلف المنظرون في الترجمة كثيرا عندما يلخصون الاسباب الداعية للترجمة بأنها تنبع من رغبة الدول المختلفة التي تريد ان تلحق بركب الدول المتطورة ، لأن " الترجمة عملية حاسمة ومثرة للغاية في قضية العبور الحضاري (٩) ٠

ويضرب المثل بالدولة العربية في العصر العباسي التي نهضت بالعلم بالعربية عن طريق ترجمة التراث الحضاري اليوناني (١٠) ٠

كان العرب في العهد الاموي والعباسي وأعين لأهدافهم ولهذا كان تقييمهم واضحا لما يترجم ولمن يقوم بالترجمة ٠ يقول الجاحظ في كتابه الحيوان عندما يتطرق الى صعوبة ترجمة الشعر العربي وقيمة الترجمة " وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونانية ، وحولت آداب الفرس وقد نقلت هذه الكتب من أمة الى أمة ، ومن قرن الى قرن ، ومن لسان الى لسان ، حتى انتهت الينا ، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها " ثم يضيف الجاحظ أن هناك من يقول " ان الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدي الامانة فيها " ويجيب الجاحظ ان الترجمان لا يستطيع الوصول الى هذا المطلب " الا ان يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ،مثل مؤلف الكتاب وواضعه ، فمتى كان رحمه الله تعالى ابن البطريق ، وابن ناعمة وابن قره ، وابن فهريز ، وثيفيل ، وابن وهيلى ، وابن المقفع ، مثل ارسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد مثل افلاطون ؟(١١)

وقد بدأت الترجمة في عهد الامويين بأمر من خالد بن يزيد بن معاوية ، فقد أراد ان يثير حسد الخلفاء حين ترجم لأسطفن الاسكندراني من اليونانية والقبطية الى العربية ، في تحويل المعادن الى ذهب ، وأجاز عمر بن عبد العزيز ترجمة الكتب الطبية لحاجة الناس الى الطب الأموي ، اقتصرت على العلوم العلمية كالصنعة والطب والنجوم ٠(١٢) ورغم حملة من المتزمتين من رجال الدين تجاه علوم اليونان الا ان هذه الحملة لم تمنع ترجمة التراث اليوناني منذ القرن الثاني الهجري وخاصة المنطق (١٣) وكانت الترجمة عمل عدد كبير من الناس او بالاحرى مدرسة كبيرة (١٤) ويجب ان نضيف هنا ان العرب المسلمون حاولوا أن يعيدوا صياغة كل شيء ترجموه عن الاغريقيين لكي يكون متوائما مع التعاليم الاسلامية (١٥) نقل العرب عن الفارسية والهندية واليونانية والرومانية ، فعندما ترجم ابن المقفع كليلة ودمنة من اللغة الفهلوية فعل ذلك ليعمل الكتاب في الخلفاء والرعية ما فعله كليلة ودمنة في الهند وفارس ٠ وهكذا كان نصحه للخلفاء حتى لا يحيدوا عن الصواب ، وحتى تميز الرعية بين الظلم والعدل " (١٦) وترجم العباسيون عن الهنود علوم الرياضيات والفلك والادب والشعر، اما عن اليونانية فقد نقلوا في كل ماينتجه العقل

أما المثال المعاصر فهو اليابان التي أنشأت مؤسسة خاصة بالترجمة لتمكين اليابانيين من نقل العلم والمعرفة الى لغتهم وجعلت اليابان بذلك من الترجمة نافذة على انجازات الحضارات الاخرى ونشاطا لتوسيع الأفق الثقافية والعلمية للشعب اليابانية ، والترجمة عمل لم تتوقف اليابان عن القيام به بشراهة علمية حضارية ، فقد ترجم الى اليابانية عام ١٩٧٥ مايقرب من مئة وسبعين الف كتاب بينما ترجم الى العربية في فترة عشرين عاما ١٩٤٨-١٩٦٨ مالا يزيد بالكثير عن أربعة الاف كتاب (١٧) ٠

في العصر القريب عند بدء النهضة العربية كانت اهداف محمد علي للترجمة واضحة فقد أراد ان ينقل عن الغرب العلم الجديد والنظم والقوانين الجديدة فيما يتعلق بالاسطول والمدارس والمستشفيات والادارة الحكومية وذلك لسبب شخصي كما أراد ان ينقل العلوم الحديثة ليسهل على طلاب العلم والدارسين استعمال هذه العلوم . كما اراد ترجمة كتب في فن الحكم ونظمه وسياسته وفي سير وتراجم العظماء ، وقد كانت المنفعة من بعض هذه الكتب تقتصر على اولاده واحفاده ، فكان الهدف من الترجمة لبعض هذه الكتب شخصيا بحتا .

وعندما تستعمل كلمة " نقل " فنحن نعترف بحاجتنا الى بعض ما يوجد عند غيرنا ولا ضير في هذا فهو مايفعله الانسان منذ الازل ولكن هذه الحاجة يجب ان تحدد بإطار ملائمة مايترجم مع ثقافتنا ومجتمعنا وحضارتنا ، وهذا التحديد يمكن ان يعترض عليه الكثيرون من نواح يمختلفة، واعتقد انني اشارك في هذا الاعتراض . فالاساس ان المعرفة نفع وفائدة وتقنين ترجمة الكتب او المقالات او البحوث (أي عدم ترجمتنا لبعض منها يخالف هذا الاساس لأن جزءا من المعرفة يبقى دون تناول العامة التي لا تعرف اللغة الاجنبية . الا ان الناحية العملية تفرض علينا - لعدم قدرتنا - ان نهتم بترجمة البعض فقط مما ينتجه العالم المتحدث بلغات غير لغتنا فالترجمة عمل يحتاج الى طاقة بشرية مدربة تدريبا عاليا والقدرات الموجودة في العالم العربي والتي تقوم بالترجمة لا تستطيع ان تترجم الا جزءا يسيرا من نتاج العالم غير العربي . فماذا نترجم ولماذا ؟ ان نعطي جوابا عاما بانه نقل لحصيلة العلوم الموجودة عند الاخرين نكون بهذا الجواب العام غير حريصين على تقدم وطننا وابناء أمتنا ونكون في الحقيقة نعمل بدون وعي بل بتخبط عشوائي لن يجعلنا نحرز اي تقدم الا بالمصادفة ، وعلى الاغلب نضيع طاقاتنا ونهدر وقتنا ونجلب لبيتنا العربي ما يضره لان ما نجلبه جزء غير متكامل مما يوجد عند غيرنا . فبعدم الفهم الصحيح الكامل لما يجلب عن طريق الترجمة دون هدف معين واضح نخلق لأنفسنا مشاكل نحن في غنى عنها . وبكلمات اخرى ، لا بد من وجود ترابط بين الترجمة وأهداف المجتمع وطرق تنميته . ولا بد ان نقتنع بأن ترجمة نشر مالا نفع فيه من علوم ومعرفة . انما هو ترف لا جدوى منه في المجتمعات العربية والنامية " (١٨) .

ومن أهم ما يجب ان نقرره هو ضرورة وجود توائم اجتماعي بين التركيبة الاجتماعية لقراء الكتاب في لغته الاصلية والتركيبة الاجتماعية لقرائه في لغته الجديدة . وهذا شيء فطن له ابن خلدون عندما تكلم عما يمكن ان نسميه الحجر الصحي لمقاطع من الكتب المترجمة . فيضرب ابن خلدون مثلا علم الفلاحة الذي كان لدى اليونانيين والرومان اهتمام كبير فيه ، فترجم العرب اجزاء العلم المتعلقة بالنبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة (وهو خواصه وروحانيته ومشاكلها المستعمل ذلك كله في باب السحر فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك)(١١)

وقد وعى بعض المنظرين في الغرب هذا الامر في العصر الحديث فتكلم عنه يوجين نايدا في كتابه المذكور أعلاه ، وتكلمت عنه سوزان بازنيت ماكجواير في كتابها دراسات الترجمة : " فمحاولة فرض قيم حضارة اللغة الأصلية للنص على حضارة لغة الترجمة عمل تحفه الخطورة ، وعلى المترجم الا يقع تحت مغريات اولئك الذين يفترضون انهم يستطيعون ان يحددوا دوافع المؤلف على اساس انها واضحة ويمكن ان تعرف من خلال النص فقط فالمترجم ليس لديه القدرة على ان يكون مؤلف نص اللغة الاصلية ، ولكن كمؤلف لنص لغة

الترجمة تترتب عليه مسؤولية اخلاقية تجاه قراءة في نصه المترجم (٢٠)

وعندما نحدد كمجتمع عربي المجالات التي يجب ان نترجم فيها علينا ان نحدد اسبقية هذه المجالات عن طريق ثلاثة مبادىء :

أولا - المجالات التي لها تأثير مضاعف على الاخرين كالارادة والتدريب والاشراف والترجمة ومراكز المعلومات العلمية ومراكز نشرها ٠

ثانيا - المجالات التي لها تأثير في تحويل الطاقة العمالية العربية الى طاقة متجددة كالتخطيط وادارة العمل الخاص والمهارات العلمية ٠

ثالثا - المجالات التي تحدد اسلوب نقل المعرفة واعدادها كالدراسة الذاتية والمجلات غير الكتابية ومكافحة الامية ٠

من هذا المنطلق الاجتماعي تصبح قضية الدقة العلمية والامانة في الترجمة امرا يحتاج ان تدرسه المنظمات التي تعنى باختيار الكتب التي يجب ان تترجم وتوضبها اجتماعيا ٠ يقول الدكتور سيد دسوقي حسن في نقاشه لبعض النقاط المتعلقة بالمفاهيم الاساسية للتوضيب الاجتماعي ان هناك أسسا يجب البت فيها قبل ترجمة اي كتاب ، واخرى يبت فيها اثناء الترجمة ، ومن هذه الاسس :

١ - هدف الكتاب وموائمته لغاية قومية ٠

٢- منهج وعلمية الكتاب وخلوه من الدجل ٠

٣- وجود نوعية من القراء العرب مماثلة للقارىء الاصلي ٠

٤- الحجر الصحي لاجزاء من الكتاب من منطلق الامن الاقتصادي او الحضاري او الاجتماعي او السياسي (٢١) ٠

ان كلمة ومعنى الامانة في الترجمة شيء يجب النظر فيه من نواحي مختلفة ٠ فللمترجم أسياد ثلاثة : صاحب النص الاصلي والنص نفسه والقارىء في لغة الترجمة ٠ فمن ناحية صاحب النص الاصلي ، على المترجم ان يكون امينا من نقل جملة ما عبر عنه صاحب النص من نصه دون زيادة او نقصان له واسلوبا ومعنى ٠ اما من ناحية النص نفسه ، فالامانة تقتضي على المترجم مسؤولية نقل المعنى بشكل يعطي القارىء في لغة الترجمة معنى ومعرفة وتأثيرا مماثلا لذلك التي حصل عليها القارىء في اللغة الاصلية ، اما من ناحية القارىء في لغة الترجمة ، فهو يريد نصا يفهمه دون اية صعوبة تنتج عن طريق التعبير وان يكون النص كتب للمرة الاولى في لغته ، كما انه يريده نصا لا تشوبه مشاكل حضارية لا يعرف عنها شيئا ٠ وبكلمات اخرى ، قد يكون للمترجم ولاء اما لكاتب النص الاصلي او للنص نفسه او لقارئه الجديد ٠ وقد يحالف الحظ المترجم فيكون ما يترجمه نصا لا يضعه في حرج بحيث لا يحتاج لان يشدهم واحدا من اسياده الثلاثة على حساب الاخرين ٠ لكنه ان اراد ان يكون صادقا مع نفسه في عمله فعليه ان يعرف بوضوح لمن يدين بالولاء كما ان عليه ان يكون امينا مع من سيقرأ نص الترجمة فيوضح له في مقدمة او في هامش طريقه عمله في ترجمته ٠

وان اخذنا الامر من زاوية النظريات النقدية الحديثة ، وعرفنا الترجمة بأنها ايصال انتاج كلامي في لغة الى انتاج كلامي في لغة اخرى لرأينا ان عملية النقل المفترضة في الترجمة ان هي الا عملية " تفسير " ارغم ان التطابق المطلوب والذي يحاول المترجم الوصول اليه امر يجب ان يحاول الوصول اليه كل مترجم في الحالات التي تتطلبه) ٠

ففي خاتمة المطاف لا بد لنا ان نرى وعلى اقل من زاوية نظر معينة ان كل كتاب مترجم انما هو كتاب جديد لأهل لغته رغم علايقته الوثيقة بالكتاب الاصلي ورغم غربه من المماثلة للكتاب الاصلي وعلى تعبيره عن المعنى الاصلي بواسطة لغة اخرى ٠

وعلينا ان لا ننسى هدفنا العام وهو خدمة

لامة العربية والاتجاه نحو التجديد العلمي والثقافي ولهذا فلا بد لنا ن خطة تفصيلية تشمل الوطن العربي كله حتى لا تضيع طاقاتنا وحتى نصل الى غاياتنا ٠-

د ٠ احمد رامز قطرية

هوامش :

١- ابراهيم زكي خورشيد ٠ الترجمة ومشكلاتها ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢٣-٢٦

٢- مكتب التربية العربي لدول الخليج ٠ الترجمة هندسة منظومة ص ٤٢ صدر هذا الكتاب فيما بعد تحت عنوان قضايا اساسية في الترجمة ١٩٨٥

٣- انظر صفحة ٧٦-٧٧ من كتاب د ٠ توفيق الطويل في تراثنا العربي الاسلامي من سلسلة عالم المعرفة ، الكويت اذار ١٩٨٥ ٠ وكتاب دليل المترجم اليونيدو ، فينا ١٩٨٤- ص٢١

٤- دليل المترجم ص ١٢٥٨

٥ Engene Nida , Toward a Sewa of Translatioing London E,J,Brill < 1964 pp 165-175

٦- الترجمة هندسة منظومة ص ٢١٢

٧- دمشق دار طلاس ١٩٨٩

٨- المصدر السابق ص ٢٤

٩- الترجمة هندسة منظومة ص ٤٦

١٠- انظر علم الترجمة النظري ص ٢٨-٣٤

١١- ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٠ الحيوان الكتاب الاول الجزء الاول دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٤٩ ص ٧٥-٧٦

١٢- في تراثنا العربي الاسلامي ص ٧١

١٣- المصدر السابق ص ٧٢

١٤- المصدر السابق ص ٧٦

١٥- د٠ د ٠ اسعد الحكيم علم الترجمة النظري ص ٢٥

١٦- المصدر السابق ص ٨٠

١٧- حركة الترجمة في الوطن العربي " في الترجمة هندسة منظومة ص ٤٦ "

١٨- المصدر السابق ص ١١٦

١٩- المصدر السابق ص ١٣٦

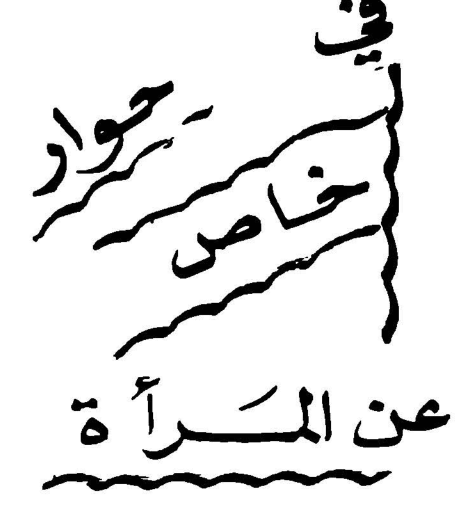
٢٠- susan Bassnett - Mc Guire. Translation Studies (London) Methuen Co Ltd , 1965) p023

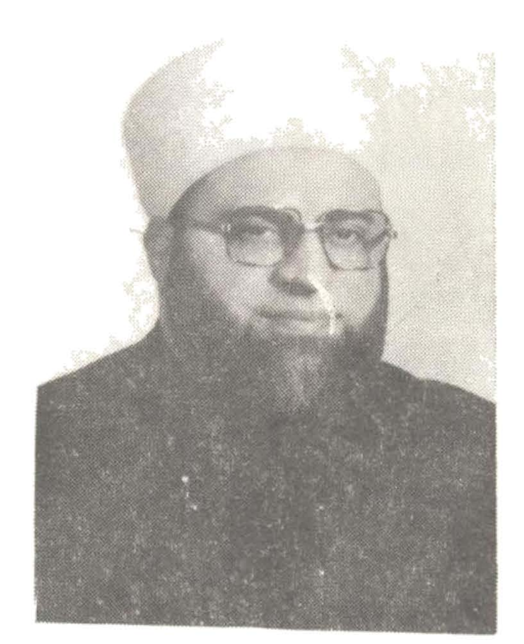
٢١- التوصيف الاجتماعي للكتاب قبل ترجمته " في الترجمة هندسة منظومة ص ٤٠ ٠

الثقافة تلتقي العالم الكبير الدكتور

محمد عبد اللطيف الفرفور

رئيس المجمع العلمي العالي للعلوم الاسلامية والعربية العالية بدمشق





أجرى الحوار

وداد قباني

الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور عالم ابن عالم ، تفقه في أمور الدين وتعمق في دراسة قوانين الحياة الوضعية والاجتماعية.

مجاز في علوم الشريعة الاسلامية والقانون وحائز درجة التخصص " الماجستير " في الشريعة القانون .

أدرك بعمق بصيرته ، وسعة اطلاعه ، أهمية العلم في ارتقاء الامم ، فعمد الى تاسيس أول جامعة خاصة في القطر وسماها (المجمع العالي للعلوم الاسلامية والعربية العالية بدمشق)، هدفها تخريج أجيال من العلماء الباحثين المتخصصين بدرجات علمية عالية وعليا معتبرا ان الانطلاق في الاصلاح يبدأ من العلم الصحيح في مؤسسات أكاديمية وفي منهج جامعي متخصص متميز مؤكدا ولاءه لهذا البلد الكريم ولقيادته السياسية الحكيمة

له مؤلفات قيمة في الفقه والتشريع والادب واللغة .

عضو مجمع الفقه الاسلامي الدولي في جدة

ومجلة الثقافة عمدت في حواراتها السابقة مع علماء وأدباء لتحريك حوار شائق وشائك حول وضع المرأة العربية في المجتمع العربي ، كان لها وقفة مع فضيلة العالم الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور لاغناء هذا البحث برأي عالم في الدين والقانون . والذي سيصدر في كتاب ان شاء الله

وداد

س ١ : فضيلة الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور هل لك أن تقدم نفسك للقارىء بطريقتك ؟

ج ١ : نشأت طالب علم ولا أزال طالب علم ، أحببت العلم للعلم ، وأردت أن أخدم أمتي عن طريق العلم ، وعلوم الدين عندي ليست كل شيء بل هي القاعدة والاساس والمنهج ، أنطلق منها الى كل العلوم والمعارف لأنني درست بتوسع علم الأديان المقارن ، فوجدت أن الاسلام متطابق مع العلم كل التطابق ، فكل حقيقة علمية متفقة مع الحقيقة الدينية شريطة أن ترقى كل منهما الى مستوى القانون أو الدستور ، ومن هنا كانت دراستي للدين على أنه علم لا على أنه لاهوت · فدرست على والدي - رحمه الله - وعلى شيوخي الكتب الصفراء القديمة ، ينابيع المعرفة وكنوز الثقافة الاصيلة واستجزتهم بعد أن جلست على الركب أمامهم زهاء أربعين سنة فأجازوني في المعقول والمنقول اجازات أعتز بها، ثم بإشارة من والدي - رحمه الله - أتممت تحصيلي الجامعي في جامعتي دمشق التي كانت تسمى الجامعة السورية وجامعة الازهر كلية الشريعة والقانون · وتخرجت من كلية الشريعة والقانون حاملا درجتي الماجستير والدكتوراه · كانت رسالتي في الماجستير نظرية الاستحسان في التشريع الاسلامي وصلتها بالمصالح المرسلة وهو كتاب مطبوع · وكانت رسالتي في الدكتوراه " ابن عابدين " وأثره في الفقه دراسة مقارنة بالقانون في ثلاثة أجزاء تزيد على ١٥٠٠ صفحة · ثم انطلقت في التأليف والتدريس وخدمة العلم فصنفت زهاء مئة وعشرين كتابا وبحثا طبع منها زهاء الـ ٥٠ والباقي في طريقها للطباعة ان شاء الله ·

استجازني زهاء خمسين عالما كبيرا في دمشق وفي أنحاء العالم الاسلامي فأجزتهم بإجازة علمية شاملة وعندي ثبت بأسمائهم وتواريخ اجازاتهم سأنشره ان شاء الله في ثبت كبير (المجلد الباذخ) أما ثبتي الصغير فقد طبع بعنوان (بلغة المستجيز) ·

درست العلوم الاسلامية وأقرأتها للطلبة منذ عام ١٩٦٠ الى هذا اليوم في شتى مناحي العلوم الاسلامية والعربية وغيرها، وأنا متزوج وعندي خمس بنات وصبيان، زوجت الكبرى منهن فأصبحت جدا ولله الحمد ·

وأنا الآن مؤسس المجمع العلمي العالي للعلوم الاسلامية والعربية العالية بدمشق وعميده ورئيسه · وهو جامعة جديدة نالت شرف احتضان القيادة السياسية الرشيدة لها ورعايتها في بلدنا الحبيب ·

س ٢ : المرأة العربية تبدو ضائعة تطمح الى ان تكون شيئا والى أن تقدم شيئا ، لكن بين الطموح والواقع تبقى فجوة ·· وهذه الفجوة واسعة بالنسبة للمرأة فكيف تقيم جسرا بين طرفيها يربط بين طموحها وواقعها ؟

ج ٢ : أقول للمرأة أن تطمح في تحقيق الذات فهذا حقها وشرفها فهي أخت الرجل وهذا ما جاء به الحديث (النساء شقائق الرجال) · لها أن تجعل مع الرجل مساواة قانونية أو بعبارة أخرى حقوقية في التكاليف والواجبات والحقوق · ولكن بطبعها الذي خلقها الله عليه ، أنها أنثى لا تستطيع مطلقا أن تتجاوز الحد فتصبح مثل الرجل في جميع النواحي بصرف النظر عن رأي الاسلام في هذا ، فتكوينها البيولوجي والنفسي والعقلي يجعلها عنصرا مساعدا للرجل ، لها كامل بشريتها وإنسانيتها · ولها حقوقها وعليها واجباتها · هذا نظر الحكماء وهذا ماتؤيده الشريعة الاسلامية التي حررت المرأة تحريرا كاملا شاملا من كل قيود الجاهلية والتخلف وإنني أنادي الى أن تدرس المرأة في وطننا الحبيب ، وفي كل بقاع العالم وضع المرأة في الاسلام دراسة علمية موضوعية لترى أختنا المرأة مدى اهتمام الاسلام

بها وتكريمها وتحريرها واعطائها حقها كاملا غير منقوص • وعلى سبيل المثال : المرأة في القانون الفرنسي الى يومنا هذا (والقانون الفرنسي سيد القوانين الحديثة) المرأة كالشاب تماما إذا بلغت سن الرشد القانوني وهو ثمانية عشر عاما لا يكلف أبوها ولا غيره بنفقتها بل عليها أن تسعى على نفسها بأي طريق • وكذلك إذا تزوجت وضع القانون الفرنسي على أموالها غير المنقولة إشارة في السجل العقاري لصالح زوجها فلا تتصرف بمالها المحض إلا بموافقة خطية منه • بينما في الاسلام للمرأة شخصيتها المالية المستقلة ولو تزوجت وليس لزوجها أي حق او سلطان في الوصاية على أموالها ولو كان فقيرا فليس عليها نفقة ولو كانت غنية ، وكذلك فيما إذا بلغت سن الرشد القانوني أو الشرعي حسب البلاد ، فعلى أبيها أو وليهاواجب النفقة عليها حتى تتزوج وليس لأخيها الصبي بعد بلوغه سن الرشد أي حق على أبيه أو وليه ، أفيكون بعد ذلك الذي ذكرت أي تشريع سماوي او وضعي كرم المرأة كما كرمها التشريع الالهي في الاسلام •

س ٣ : باعتقادك هل يجب ان تكون المرأة مساوية للرجل في كل الامور بلا استثناء ام لك آراء معينة حول الموضوع؟

ج ٣ : في المسألة خطان : خط يقال له المقارنة في الخلق والوظائف ، وخط آخر يقال له المقارنة في الحقوق والتكاليف، ففي الخط الاول وهو الخلق والوظائف لا يستطيع العاقل أن يساوي الرجل بالمرأة من جميع الوجوه لقوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) فالمرأة لها أوضاعها الخلقية المعروفة مما هيأها الله له من تناسل وولادة وما يتبعه • وهي بحد ذاتها متأججة العواطف في الأعم الأغلب ونظرتها للأمور دون نظرة الرجل فكريا فقد ثبت بيولوجيا أن عقل المرأة – أي دماغها – أقل في الوزن والتعاريج من دماغ الرجل كما أثبت ذلك الأطباء• فبناء على ذلك وتأسيسا عليه ينبغي ان تكون القيادة بيد الرجل• وان تكون المرأة تبعا له وعنصرا مساعدا ، فهو الأمير وهي الوزير - وليست الخادم - هذا من ناحية الخلق والوظائف ، وأما من ناحية الحقوق والواجبات وفي خط التكاليف فالنساء شقائق الرجال والجميع أمام التشريع سواء ، بل ان المرأة في كثير من الاحكام الشرعية كرمها الاسلام وأعطاها أكثر مما أعطى الرجل فلا يجوز شرعا للمرأة ان تعمل (كناسة) في مصلحة للأسيقة أو عاملة في مطار لأن زوجها أحق وأولى بالانفاق عليها حال زواجها وأباها ملزم بالنفقة عليها قبل زواجها فهي جوهرة مكنونة ودرة في صدفة لا تطالها الايدي ولا تنالها الالسنة • فإذا كان الرجل يمثل في داره رئاسة الدولة الصغيرة فإن المرأة تمثل رئاسة الوزراء ووزيرة الداخلية ، تعمل وتجتهد لإسعاد زوجها وأولادها واسرتها •

س ٤ : يقول أحد الفلاسفة ان تحرر اي مجتمع يقاس بمدى تحرر المرأة فيه وتوسيع حريات النساء هو المبدأ العام لكل تقدم اجتماعي فكلما نالت المرأة المزيد من حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قطع المجتمع شوطا في طريق تحرره وتقدمه •• ما رأيك بهذه المقولة وكيف ينظر عالم الشريعة والقانون الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور الى هذه المقولة ؟

ج٤ : هذا كلام حق لا غبار عليه ولا يناقش فيه عاقل لأن المرأة يجب ان تملك حريتها السياسية والاجتماعية لأنها نصف المجتمع ولكن ذلك منوط بشروط وضوابط • فالشرط الاساس هو ان تملك المرأة قبل انطلاقها الى المجتمع رصيدا كبيرا من العلم ، والثقافة النافعة والدراسة ومعرفة شؤون الحياة ، وأن تملك الى ذلك احاطة موجزة بأمور

دينها وان تتحلى بأرفع قيم الاخلاق التي حثت عليها الشرائع السماوية ولا سيما الاسلام فإذا أخذت المرأة ذلك بيدها اليمنى استطاعت ان تشارك بحشمتها وحيائها وأدبها وعقلها الرجل في كل مناحي الحياة، فالشرع الاسلامي لم يمنع المرأة ان تشارك في المجتمع بالشروط المذكورة في أي منصب أو محل أو مرتبة اجتماعية او سياسية الا رئاسة الدولة فقد أقر جمهور الفقهاء بأن ذلك من خصائص الرجل لأنه - اي رئيس الدولة - هو الذي يعلن الحرب ويعقد المعاهدات ويوقع على السلم وهذا يحتاج الى عقل الرجل وخبرته ٠ وما عدا ذلك فما الذي يمنع ان تشارك المرأة في شؤون الحياة فتكون طبيبة للنساء أو مهندسة أو صيدلانية والافضل لها في هذه المجالات ان تختص بشؤون النساء ٠

س ٥ : يقول بعض الرجال : المرأة لا تصلح الا لحفظ النسل وتدوير الساعة وغسل الصحون ٠، وقال آخر : لقد خلق الرجل للحرب والقتال أما المرأة فانه ليس لها من شيء سوى الحب والطفل ٠ وتبعا لذلك فان سعادة الرجل هي: أنا أريد وسعادة المرأة هي : هو يريد ٠ وقال آخر: ان الرجل فطر بالطبيعة للحياة الخارجية بينما المرأة مكانها داخل الاسرة والمفروض في تربيتها ان تتعهدها بالرعاية لكي تكون السند المعنوي للرجل وخادمته دون ان يكون لها ارادة خاصة بها ٠

ان هذه الاقوال وكثير على شاكلتها تقوم على أساس التمييز بين الرجل والمرأة ، مارأيك بهذه الاقوال والى أي حد تنطبق على واقع المرأة العربية ؟ وهل هناك جناح أمل يمكن للمرأة ان تغير به مسار الواقع ؟

ج ٥ : اذا حكمنا العقل وجدنا ان هذه المقولات مبالغ فيها وتجنح نحو الخطأ ٠ وأن الافراط او التفريط يحفانها من جميع جوانبها ، والوسط الاعدل ام الكتاب، فالوسطية في هذه المسألة إمامنا تلك التي يأمرنا بها العقل والراي السديد والحكمة البالغة وما اتفقت عليه كلمة الحكماء بأن لا نفتح الباب على مصراعيه وألا نغلقه ونوصده في وجه المرأة ، فالاصل أن المرأة خلقت للأسرة والحضانة والتربية واسعاد الزوج واسعاد اولادها ونفسها، قبل ذلك فعملها الاساسي هو المنزل ، ولكن هذا لا يقتضي منا ان نغلق الباب في وجهها ونمنعها من الاعمال الاجتماعية والثقافية والعلمية في دائرة الحياة الانسانية لرفدها ، فنحن نحتاج الى طبيبات وصيدلانيات كما يحتاج المجتمع الى أديبات ومفكرات وشاعرات وكاتبات ومهندسات وكل ذلك فيما يزيد من الوقت عن شؤون المنزل اذا اقتضى الامر ذلك وتطلبت المصلحة مع الحشمة والادب الجم واتباع مكارم الاخلاق ، فلقد كان في سلفنا الصالح معلمات وشيخات ومدرسات، كانت السيدة عائشة الباعونية أديبة وشاعرة ذات مقام اجتماعي رفيع أخذ عنها علماء عصرها وكانت المرأة تستجاز من العلماء وكانوا يجلسون في درسها فالشيخ ابن عربي له شيخة أخذ عنها وذكرها في كتبه ولا سيما الفتوحات والشيخ عبد الغني النابلسي أخذ عن شيخات وكثيرون أخذوا عن النساء العلم وكثير من النساء أخذن على الرجال ، فالعلم شركة وليس حكرا على الرجل دون المرأة ٠ والى زمن قريب كان أستاذنا الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين له تلميذات يقرأن عليه (حاشية جده) - رد المحتار - وهي سبع مجلدات في سبعة أجزاء كبار) ٠

والشيخ أبو الخير الميداني له تلميذات لم يمنعهن كونهن نساء أن يأخذن العلم وان يعطين العلم ، ومن أراد التوسع في ذلك عليه بكتاب " أعلام النساء " للاستاذ الراحل عمر رضا كحاله رحمه الله من خمس مجلدات يجد العجب العجاب

، الشيخة فلانة ٠٠ فلان أخذ عن الشيخة فلانة ٠٠ ولم نسمع بأية مشكلة أخلاقية وقعت بين الرجل والمرأة لأن المقصود هو العلم وحده ، وكل من الرجل والمرأة يتحلى بأرفع القيم الدينية والاخلاقية ٠

س ٦ : ينظم قانون الاحوال الشخصية مجموعة من الانظمة والقوانين تحدد وضع المرأة في الاسرة وعلاقتها بالرجل مثل تقييد حريتها في طلب الطلاق وحرية الرجل في الزواج بأكثر من واحدة ، هل تعتقد ان هذه القوانين بحاجة الى تعديل ؟

ج ٦ : الواقع ان قانون الاحوال الشخصية يجب ان يستمد من الشريعة الاسلامية لأن هذه احكام دينية بحتة لا مجال للعقل فيها ولذلك وجب الرجوع الى المذاهب الاسلامية في تقنين الاحوال الشخصية ٠

المذاهب الاسلامية هي ينابيع الشريعة وجداولها وعلى المسلمين التقيد في شأن نظام الاسرة بمجموع المذاهب لا بمذهب واحد ٠٠ بحيث لا يخرج نظام الاسرة عن دائرة هذه المذاهب مطلقا لأن الاحوال الشخصية مسائل تتعلق بالنسب والنسل والزواج والطلاق والولادة والنفقة وهي مسائل خطيرة فلا يجوز تركها عرضة للتلاعب بها وهدمها بل قالوا الاصل في الانكحة التحوط حتى تصح الانساب ٠ أما بشأن تعدد الزوجات فهو علاج لبعض المشاكل الاجتماعية وليس هوى وتشهيا ٠ لأن اساسه العدل ٠

س٧: تقول احدى النساء : ان دونية المرأة منقوشة في اللغة ، فالطاقة والابداع والخلق مرادفة للرجولة ، والنبل فضيلة مذكرة في المقام الاول ، وحين تكون امرأة موهوبة جدا يكال لها المديح والثناء بتشبيهها بالرجل ، هل توافق على هذا الكلام ؟ وماذا تعني لك كلمة امرأة بالمعنى المطلق؟

ج ٧ : لا أوافق على هذا الكلام مطلقا ، لان كثيرا من الابداع والتفوق والنبوغ كان من نصيب النساء فنحن نرى ان عائشة ام المؤمنين والسيدة زينب بنت جحش ام المؤمنين ايضا رضي الله عنهما وغيرهما من النساء كن عالمات واديبات وشاعرات وكاتبات وكل منهن كانت ينبوعا من ينابيع الثقافة والفضيلة فالتفوق والنبوغ شركة بين الرجل والمرأة بل رب كثير من النساء كن خيرا من الرجال اذا أحسن المربي تربيتهن فأمامنا السيدة رابعة العدوية وعائشة الباعونية وكثير منهن مما لا يسمح الوقت بذكرهن ، ذلك لأن المرأة مجهزة بحس مرهف وعاطفة جياشة وشدة ملاحظة بالاضافة الى كثير وكثير من الحنان والحب مما لا تجده عند كثير من الرجال اصحاب القلوب الجامدة ٠

اما ماتعني لي كلمة امرأة بالمعنى المطلق فهي عندي لؤلؤة أضن بها على الناس ، أود أن توضع في أحلى جام من البللور بل هي عندي وردة دمشقية فواحة مليئة بالشذى والعبير تحتاج الى من يفهمها وتفهمه ، تحتاج الى يد حنون وقلب طهور ونفس مشرقة وروح عالية وفهم عميق وحس مرهف ، المرأة صانعة للحياة وهي زهرتها وروحها وريحانها ومن هنا جاء الحديث النبوي الشريف :

(حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ٠)

وأمرنا نبينا محمد (ص) ان نستوصي بالنساء خيرا فكان من آخر ماقاله قبل انتقاله الى جوار ربه : استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع ، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا ٠

الحياة من غير امرأة صحراء قاحلة ، فيها الجفاف ، وبالمرأة تحيا كما تحيا الأرض بماء المطر اذا سقاها الغيث اهتزت وربت وانبتت من

كل زوج بهيج ٠

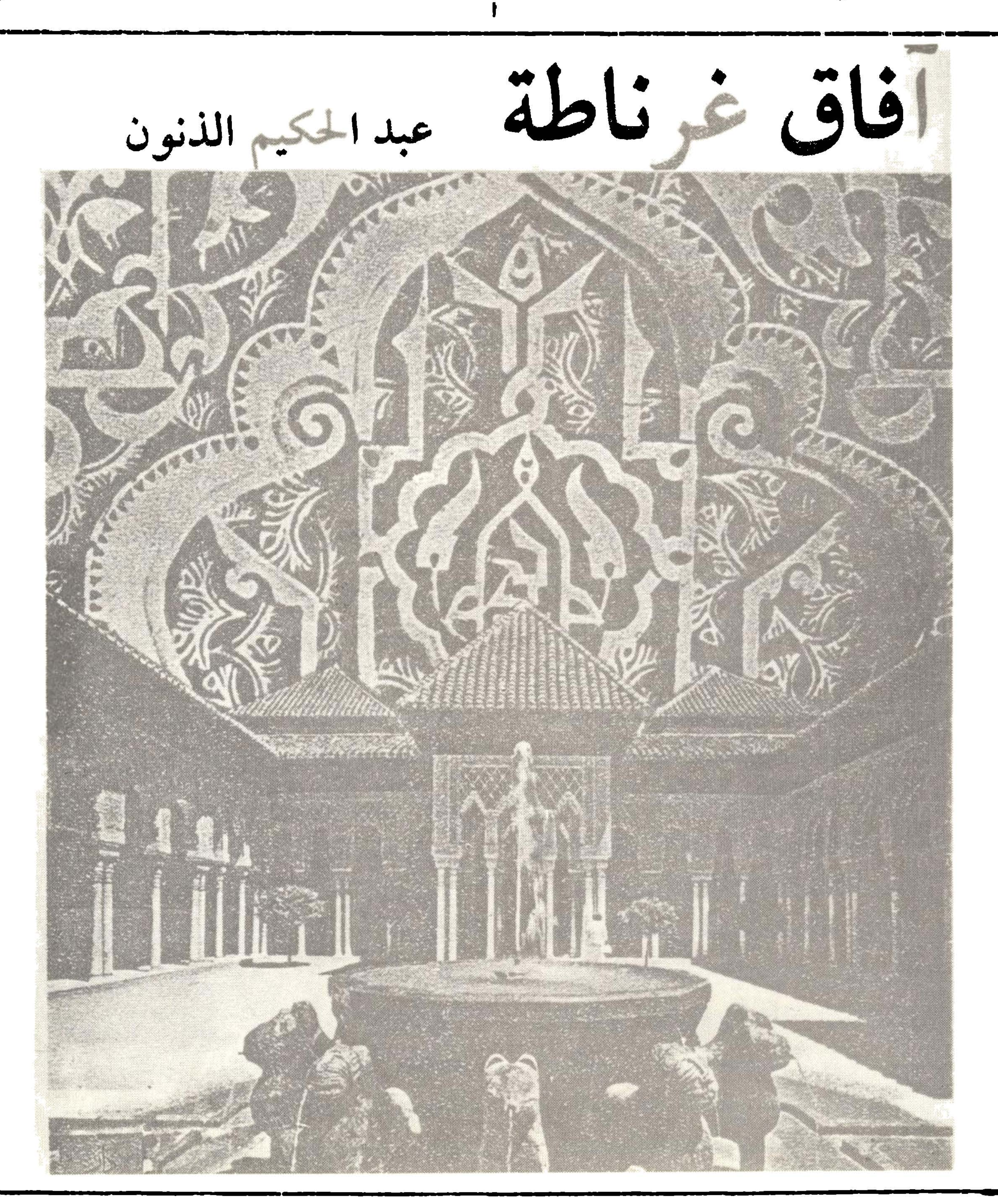
تشكر مجلة الثقافة للعالم الجليل الدكتور الاستاذ محمد عبد اللطيف الفرفور تفضله بالاجابة ٠

وأنا أشكر بدوري الأخت الفاضلة السيدة وداد قباني لتفضلها بإجراء هذه المقابلة مع كل التقدير والاحترام ٠ وأشكر لأسرة الثقافة وعلى رأسها صديقي الحبيب الاديب الكبير الشاعر النابغة مدحة عكاش ولجميع أسرة الثقافة والى لقاء قريب ان شاء الله على صفحات الثقافة الغراء٠

حوار : وداد قباني

آفاق غرناطة

عبد الحكيم الذنون



رحلة أدبية مع :

حامد حسن الشاعر الطليعي الأصيل

بقلم : محمد منذر لطفي

حامد حسن شاعر إنساني المنحى .. أنيق الكلمة .. مشرق العبارة .. خصب الخيال صياد أسلوب ساحر ونغم آسر .. يذوب نفسه شعرا أرق من جفن يعلم الغزل ، فتشعر وأنت تقرأ قصائده أنه معك روحا وجسدا ، فإذا بأنفاسه تهدهدك فتستغرق في النشوة كما يستغرق الناسك في صلاته .. !

أوتي ريشة خضيلة ثرية الالوان والظلال .. وبستانا ملأى بالسحر والجمال .. وذوقا جماليا في التعبير .. ورهافة شفافة كالأثير .. ومرآة تنعكس عليها حتى الأطياف .

شامي الديباجة .. مشرقها ، باعه في دنيا الشعر طويلة .. وخمائله فيها وارفة ظليلة ، إذا ضرب على أوتار الشعر أرقص .. وإذا بدأ بالغناء أسكر وحمل السامعين بأجنحته السحرية ، إلى عالم جمالي مسحور يموج بأعذب الأنغام والألوان .. وأحلى الرؤى والمعاني الحسان .. التي لم ترها عين .. ولم تسمع بها أذن .. ولم تحلم بها حتى أفروديت وليليت .. وفينوس وعشتار ..!

-١-

السلال ملأى بالأزهار هذا الموسم ، وحديقة الشعر بدأت تسلسل العبير والألحان ، والقمر راح يكركر بساتين الفستق والكرز في حقول الشمال.. ويضاحك بيارات الليمون والبرتقال في الساحل ، فهذا هو القسم الأول من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر (حامد حسن) ينشر ألقه وعبقه في كل مكان وعبر كل زمان ، أما صاحبه فشاعر غني عن التعريف ، يأتي في طليعة شعرائنا المعاصرين المجيدين ، ليس على صعيد القطر العربي السوري فحسب ، وإنما على امتداد الوطن العربي بأكمله ، حيث كسب الشهرة وهو شاب في عمر الوراد عندما فازت قصيدته (امرؤ القيس .. والعذارى) بالجائزة الاولى في إحدى مسابقات الشعر ، ومنذ ذلك الحين أصبح وإياها يملآن الدنيا ويشغلان الناس .. بعد أن دخل " عبقر " من أوسع الأبواب . وقد ضم هذا القسم قصائد شعرية متنوعة الألوان والأبعاد .. مختلفة المقاصد والغايات.. تألقت في سمائنا الشعرية أقمارا ونجوما لتنير الطريق الى السابلة عبر ليالي الشتاء الطويلة التي تشهدها ساحات الشعر العربي بعد أن امتلأت بالأشباح والعناكب والغربان الذين غصت بهم بستان الشعر - على رحابتها - هذه الأيام .

ويزعم اليوم دعاة الجناح المتطرف في مدرسة الشعر الحديث (١) ممن في نفوسهم مرض ما أو أكثر أن البقاء لن يكتب لشعر كهذا ، وحجتهم الواهية في ذلك أنه ينتسب - من حيث الشكل - إلى مدرسة شعرية مضت وانقضت ، وجوابي على أمثال هؤلاء الحداثويين المتطرفين

وأشباه النقاد أن زعمهم المريض هذا لن يكون أوفر حظا من زعم " الفرزدق " عندما هم بقتل"مربع" وأن البقاء والخلود سيكون من نصيب الشعر الأكثر فنية وأصالة ٠٠ وليس الأكثر تحللا وضياعا بغض النظر عن المدرسة الفنية التي ينتمي إليها ، ذلك أن لكل مدرسة شعرية معاييرها وموازينها وثوابتها الفنية التي نستطيع أن نحكم من خلالها للشاعر أو عليه ، فالشاعر المبدع يستطيع - وكما هو معروف - أن يصب إبداعه في أي قالب يشاء، وانتقاء المدرسة أو الأسلوب أو الموضوع ٠٠ واحد من أهم حقوقه الشخصية الخاصة به :

والشعر أغنية الخلود ٠٠ وبعضه

عبث الحياة ٠٠ يموت ساعة يولد

-٢-

والحقيقة التي لا جدال فيها أن الشاعر حامد حسن يعتبر والشعراء (عمر أبو ريشة - بدوي الجبل - محمد الحريري - نديم محمد - أحمد سليمان الأحمد) من أبرز الوجوه الشعرية التي وفدت من المحافظات على دمشق في عصرها الشعري الذهبي خلال الربعين الثاني والثالث من هذا القرن ٠٠ وبخاصة خلال الفترة التي رافقت الاستقلال وما بعدها ، فقد استطاعت تلك الوجوه أن تركز راياتها في سماء العاصمة السورية ٠٠ وأن تزحم بكل ثقة وثبات نسورها الشعرية أمثال (شفيق جبري - محمد البزم - نزار قباني - عدنان مردم بك ٠٠ وغيرهم)٠٠ فما السمات الفنية الايجابية التي مكنت الشاعر "حامد حسن" من تبوأ هذه المكانة الرفيعة ٠٠؟ وما البطاقة الشعرية التي يحملها والتي خولته دخول قلعة الشعر الحصينة من أوسع الأبواب ٠٠؟ وما الذي تقوله تلك البطاقة ٠٠؟

تقول البطاقة الشعرية التي يحملها الشاعر حامد حسن " إنه واحد من القلة القليلة من الشعراء الذين استطاعوا أن يحققوا عناصر العمل الأدبي الأربعة (الفكر والخيال والعاطفة والأسلوب) وعلى ضوء هذه البدهية ٠٠ وأمام النتاج الشعري الجيد والمميز له ٠٠ تطالعك مباشرة ودون أي عناء سمات الشعر الحقيقي الأصيل ٠٠ الذي يوشحه (الصدق والأناقة ٠٠ والجمال والأصالة) بأكثر من وشاح ، وهذا ما جنب صاحبه عثرة الضياع في زحمة غيره من الوجوه الشعرية المعاصرة ٠٠ ذات النزعات المتباينة والمدارس المختلفة ، إنه يمثل خطا بيانيا متصاعدا في مسيرة فنية متجددة يحاول الشاعر من خلالها أن يرصد الواقعين (الشخصي والعام) على حد سواء ٠٠ كما ويحاول أن يخرج بالشعر من شتات التهويم الى الواقع الحياتي المعاش ٠٠ مستخدما عبر رحلته الشعرية المسارح الحياتية كافة ٠٠ وبخاصة (الاجتماعي والعاطفي ٠٠ والقومي والإنساني) ٠٠ وقد استطاع شعريا أن يجسد تلك المسارح من خلال محورين رئيسيين هما الفحولة والبكارة الشعريتان ٠ ٠ فأتت قصائده حاملة معها تجارب خمسين سنة أو يزيد في الحب والوطن ٠٠ والمجتمع والانسان ٠

إنه - وبالرغم من كونه أحد الشواهد الرئيسية البارزة للشعر الكلاسيكي في سورية بعامة وفي المنطقة الساحلية بخاصة - إلا أنه لا يهمل الحداثة الأصيلة في " المضمون " ولا ينسى المعاصرة ولا الايقاع الداخلي الذي تزخر به قصائده عبر موسيقاها الداخلية ٠٠ وعبر مسارها في رحلة " الشكل " سواء على صعيد البحور والمجزوءات الشعرية الساحرة ٠٠ أم على صعيد القوافي الطيعة المترعة بالأنغام الأخاذة والموسيقى الآسرة ٠

لقد تذكرت - وأنا أنهي قراءة اشعار الشاعر المبدع " حامد حسن " مقولة الشاعر لارلندي الرمزي "و٠ ب ٠ بيتس " التي يقول فيها :

لماذا نمجد فقط أولئك الرجال الذي يخترقون

صفوف الاعداء ودفاعاتهم ليستشهدوا في ساحات القتال ..؟ إن الانسان بعامة .. والشاعر بخاصة يستطيع أن يبدي شجاعة مماثلة وهو يخترق أغوار نفسه .."

وأعتقد جازما أن الشاعر حامد حسن واحد ممن عناهم " بيتس " لأنه استطاع على صعيد الذات أن يخترق أغوار نفسه في مكاشفة جريئة معها .. ومع الآخرين ، كما استطاع على صعيد الفن الشعري أن يجرد اللغة من واقعيتها الى حد كبير .. محققا بذلك غاية الايقاع في الشعر .. مضيفا شيئا من الادراك المبهم أو الوجود غير المحسوس الى القصيدة أو المقطوعة المنظومة على حد تعبير شاعر الطبيعة الانكليزي " ووردز وورث " في مجال تعريفه للشعر ، وهذا ما أكسب أعمال " حامد حسن " الشعرية مزيدا من الفتنة والتأثير . . والتناغم والجمال ، وجعلها تتسم بأبجدية شعرية متميزة .. لها الكثير من تفردها ونكهتها وخصوصياتها (شكلا ومضمونا) كما جعل الشاعر " حامد حسن " يقف من خلالها كالمنارة وسط جداول الشعر الكلاسيكي العربي المعاصر .

-٣-

وكما اطلع جبل " البرناس " قديما الكثير من شعراء اليونان المرموقين فيما تروي أساطيرهم .. كذلك أطلعت " جبال اللاذقية وطرطوس " حديثا الكثير من شعراء الساحل المجيدين فيما تروي أشعارهم ، ويأتي في طليعتهم الشاعر " حامد حسن " الذي نحن بصدد القيام برحلة أدبية في رحاب القسم الأول من أعماله الشعرية الكاملة التي تصدرت مكتباتنا العربية منذ سنوات .

بدأ الشاعر هذا القسم بمقدمة نثرية رائعة لخصت آراءه في (الشعر والأدب .. والفن والمجتمع .. والحياة والانسان) ، فتعرضت لأهم مشكلات النقد الأدبي المعاصر .. والسلوك الفني والقضايا الفكرية في الأدب ، وبينت بكل وضوح وإيجاز مذهب صاحبها في تلك المجالات كافة :

" في القضية قولان .. فإذا لم نلتق .. فلأن أحدنا - أنت أو أنا - على الرصيف الثاني "

وبعدهذا الرأي المكثف والمعلل في مفهوم الحرية الادبية والفكرية ، طرح رأيا آخر في الشعر القديم والحديث ، لا يقل عن سابقه تكثيفا وتعليلا :

" لا قديم ولا حديث في الشعر ، فالمسألة نسبية مع الزمن " وإنما " أعطنا خمرا وخبزا .. وتوار - إن شئت – وراء حدود التاريخ " .

وقد قصد أن يقول من وراء ذلك فيما أرى : أعطنا شعرا جيدا - بغض النظر عن المدرسة الشعرية التي تنتمي اليها - وأنا أضمن لك الخلود .

وبعد تلك المقدمة راحت لآلىء العقد .. أو قل القصائد الشعرية تتهادى واحدة بعد أخرى ، كما تتهادى مجموعة من الصبايا الحسان وهن يشتركن في مباراة لانتقاء ملكة جمال الربيع .. أو في عرض فني رائع لتحديد أجمل الازياء وأكثرها إغراء وأناقة .

المختارات - والحق يقال - أضاميم شعرية مشرقة ، برز لنا " حامد حسن " من خلالها شاعرا طليعيا أصيلا.. ورائدا مجددا في مجال هذا الفن الصعب ، وفير المعاني والصور .. جيدها ، إن ظواهر أو خصائص شعرية أربع كانت مركز الثقل او القاسم المشترك في كل ماكتب أو أبدع .. الأولى والثانية تتعلقان بنوعية الشعر ومداراته وأعني بها (الوصف) و (الانسان) ، بينما تتعلق الثالثة والرابعة بفنية الشعر وأسلوبه ، وأعني بهما (تجسيد الألفاظ) و(الغنائية الساحرة .. أو التناغم الموسيقي الآسر).

١- ظاهرة الوصف :

إن " حامد حسن " شاعر وصاف مغرق مترف ، سواء بالنسبة للصور الشعرية ٠٠ أم بالنسبة للأردية اللفظية التي ينتقيها لها ، أصالته في الرسم والتصوير لا تقل عنها في الشعر والتعبير، وهذا ما مكنه من المزاوجة بفنية واضحة المعالم واللمسات بين الصور والموسيقى ، فأتت قصائده لوحات رائعة حالية ، ترافقها أثناء العرض " سيمفونيات " رائعة حالية أيضا تعزفها فرقة سحرية بعد منتصف ليلة صيفية من ليالي "تموز":

رقصت ٠٠ ورش الطيب في الخطوات ٠٠ والألق المذاب

ويتابع الشاعر وصف الراقصة في قصيدة له تحمل العنوان ذاته :

وتدور ٠٠ تخطئها العيون الراصدات ٠٠ فما تصاب

وتقصفت ٠٠ جسدا ٠٠ تكاد عليه تحترق الثياب

شفت غلائله ٠٠ وكيف يحجب الشفق الضباب ؟

.

أما في قصيدة (ريف ٠٠ وريفيون) فقد أجاد الشاعر أيما إجادة ٠٠ وهو يرسم لنا صور القرى الغافية بأحضان السهول وفوق هامات الجبال بريشة رسام ماهر ٠٠ وكأنها شلال الزهر ٠٠ حتى لكأن القارىء يحس أو يرى :

ضيع نثرن على السفوح الحالمات وفي التلال

غرقت بما يخبئن من دنيا اخضرار واخضلال

تعبت فرش الليل في طرقاتها صمت الجلال

تحنو الوراد على نوافذها وتتكىء الدوال

فترى الهلال من الخلال وتارة نصف الهلال

وفي قصيدة (اضاميم) يعترف لنا الشاعر بعفوية رائعة بالكنوز الجمالية الثرة ، الساحرة المسحورة التي حباها الله لفاتنته الشقراء ٠٠ وهذا ما جعله يشغف بها حبا وهياما :

شقراء ٠٠ لولا الهوى ماقلت قافية

ولا توسدت - لولا شعرك - اللهبا

رف الأصيل على جنبي متقدا

من صاغه أشقرا٠٠ من زور العربا؟

هذي الأضاميم من عطر ومن وهج

أطعمتها القلب والعينين والهدبا

لي ألف درب الى جناتها ٠٠ ويدي

تغامز الكرز المسفوح ٠٠ والعنبا

أما قصيدة (البحترية) التي نظمها الشاعر في (البحتري) بمناسبة مهرجانه الذي أقيم في دمشق عام ١٩٦١ أيام الوحدة مع مصر فقد كانت عروس هذا القسم بلا منازع ، اسمعه وهو يخاطب البحتري فيقول :

أنت الذي احتضن الخيال تعللا

وأنا الذي ارتشف السراب توهما

خذ كل ممتلك ٠٠وهب لي غفوة

يقف الخيال بها علي مسلما

كل الهوى " حلب " فهل ظبياتها

أشهى من العطرات في" بردى" فما

المالكان : جمال " علوة " والهوى

والمسكران : البابلية واللمى

وتشكل قصيدة " الفارس الشاعر" التي ألقيت في مهرجان " أبي فراس الحمداني " عام ١٩٦٢ في مدينة حلب الجوهرة الثانية في عقد هذه المختارات :

حلب ٠٠ وما حلب ، وأنت الأمس في

خيلائها ٠٠ وعليه يتكىء الغد

درج " الوليد" بها ٠٠ واي قصيدة

" أبي عبادة " لا تقيم وتقعد

أعطاف " علوة " ميد ٠٠ فنميد من

سكر الهوى ولدات " علوة " ميد

والشاردات تهز سيد تغلب

ونبيهن " أبو المحسد " أحمد

متنبيء ٠٠ لكنه من عبقر
فهلم في محرابه نتعبد
والشعر أغنية الخلود ٠٠ وبعضه
عبث الحياة ٠٠ يموت ساعة يولد

بهذا البيت الأخير الذي تعمدت أن يكون الاستشهاد به نهاية المطاف في مجال الحديث عن ظاهرة الوصف عند الشاعر ٠٠ أكون قد ودعت المحطة الاولى من هذه الرحلة الأدبية ، ووصلت لمحطة الثانية ، وأعني بها (ظاهرة الانسان) ٠

ظاهرة الانسان :

أما ظاهرة الانسان ٠٠ أو الظاهرة الانسانية، فقد شكلت الدعامة الرئيسية الهامة لأعمال الشاعر " حامد حسن " الشعرية ، فكتبت له البقاء والخلود ، حيث امتلأت معظم القصائد - حتى قصائد الغزل والتفاؤل والجمال - بالعشرات من المفردات والكلمات التي تدور في فلك الانسانية والعذاب ، وهي مفردات لا يأتي بها الا أولئك الذين عاشوا تجربة الحرمان والجوع والعطش في هذه الحياة ٠٠ وشربوا كأسها حتى الثمالة ، وهذا ما يجعل تلك الكلمات دائمة الطفو في عقلهم الباطن ، تخرج الى الحياة والنور في كل مناسبة يقرض فيها الشاعر شعرا ٠٠ حتى ولو كانت المناسبة عاطفية بحتة ، فترسم بذلك هالة مأساوية الضياء ، هى في حقيقتها ظلال واضحة لنفسية الشاعر الانسان التي مرت خلال رحلتها الحياتية السابقة بسنين مجدبة مرملة نأمل ألا تعود ٠٠

كثيرة جدا كلمات (جهنم ، الغربة ، الرعب ، الألم ، الجراح ، العطش ، الحطب ، الصقيع ، الجوع ، الجحيم ، الكوخ ، الظلام ، الحصير ، الجياع ٠٠ الخ) والتي تشكل وحدها قاموسا في تعريف المأساة ، إذن فلا غرابة بعد تجربة كهذه أن يكون رد الفعل ظاهرة "إنسانية" رائعة ، تمسح بيديها الرحيمتين على قصائد الشاعر لتبارك مواسمه وغلاله :

الشمس ٠٠ وانطفأ ابتسام الله في ثغر النهار
والرعب ملء الدرب ٠٠ والليل الرهيب يلف داري
ومشى الصقيع إلي ، والجوع المرير الى صغاري
وعيونهم للدرب ٠٠ درب الكوخ تقتات انتظاري
يتكومون على حصيرهم ٠٠ بلا نور٠٠ ونار
فتراقصت شتى الظلال الراعبات على الجدار
٠

وينهي الشاعر قصيدته الجميلة هذه" اللاجيء والشتاء " بهذا البيت الانساني الجميل :

فهدير جرحي - لا عدمت الجرح - أغنية انتصاري
٠

أما في قصيدة " الخلود " التي تمثل لفتة انسانية فلسفية رائعة بالنسبة لمفهوم الحياة بأقانيمها الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) وبالنسبة لمفهوم الانسان بأقانيمه الثلاثة ذاتها ، فإنه يقول :

أنا ٠٠ وابني ٠٠ وأبي في غرفة
جمعت يومي ٠٠ وأمسي وغدي
لست ظلا زائرا ترسمه
في جدار البيت نار الموقد
لا ٠٠ ولا خفقة ريح عبرت
وانطوت بين الغصون الميد
أنا كل الأمس ٠٠ لكن في أبي
وأنا كل غد في ولدي

-٤-

هذا بالنسبة للظاهرتين الاولى والثانية اللتين تتعلقان بنوعية الشعر ومداراته ، أما بالنسبة للظاهرتين الثالثة والرابعة اللتين تتعلقان بفنية الشعر وأسلوبه ، فهما ظاهرتا (تجسيد الالفاظ) و (الغنائية الساحرة ٠٠ أو التناغم الموسيقى الاسر ولابدأ حديثي عن كل واحدة منهما بشكل

مستقل .

٣- ظاهرة تجسيد الألفاظ :

تعتبر ظاهرة تجسيد الألفاظ واحدة من أبرز الظواهر الفنية الواضحة والأصيلة التي تميز الشاعر (حامد حسن) وتحدد هويته الشعرية ، وإلا لما استطاع القارىء أن يراها بكل وضوح وبساطة في معظم قصائده الشعرية ، مهما اختلفت موضوعاتها وتعددت لوحاتها وتباينت ألوانها ، وهذا ما جعل العديد من الدارسين والنقاد .. وفي مقدمتهم الأستاذ " احمد عودة " في دراسته التي نشرها في مجلة الثقافة الدمشقية ، والأستاذ "حبيب بهلول " في كتابه " حامد حسن والاتجاهات الأدبية الجديدة في شعره " يطلقون عليه لقب " شاعر اللوحة " و" شاعر التجربة " على حد سواء .

والحقيقة - فيما أرى - هي أن " حامد حسن " شاعر رسام .. وصاحب لغة شعرية مميزة .. مترعة بالغنائية الساحرة والموسيقى الآسرة .. والطبيعة الحالمة والألوان الباسمة .. وهذا ما مكنه من تفجير طاقة الألفاظ والعبارات تفجيرا إيجابيا مدهشا يحمل معه الكثير من التفرد والتميز والغنى ، ويجعل الشاعر يبني لنفسه في نهاية المطاف بيتا فنيا واضح المعالم والسمات والأبعاد .. يحدد هويته، ويحفظ قيمه وسلامته ووجوده ، ويصونه من أيدي العابثين .

إن قراءة سريعة لقصيدة (ريف .. وريفيون) المار ذكرها .. تجعلنا نكتشف ببساطة مدى التجسيد الرائع للألفاظ الذي يميز الشاعر ، وبخاصة حين يصف القرى المتعبة المتناثرة على السفوح والتلال فيقول :

تعبت .. فرش الليل في
طـرقـاتهـا صمـت الجـلال
تحنو الوراد على نوافذهـا
وتتكـــىء الـــدوالي

وما ينطبق على هذه القصيدة ينطبق على قصيدة (كوخ الشاعر) حيث يقول :

شاعر .. إن يعبس الدهر .. ابتسم
عاش أغنى الناس .. لكن بالألم
مرحبا بالجرح هدارا .. . ولا
بورك الجرح .. إذا الجرح التأم
ألم .. شعر .. عذاب .. كلها
نعـم .. فليغـدق اللـه النعـم
.

ويصل تجسيد الألفاظ ذروته في هذه القصيدة الرائعة حين ينقلنا الشاعر الى كوخه وأطفاله وحالته وحياته فيتابع قائلا :

لو ترى كوخي .. وأطفالي به
بعضهم نـام .. وبعـض لم ينـم
لو ترى كوخي .. وكوخي عـدم
عـدم .. هـلا تصـورت العـدم
موحش كالقبر ، في أنحـائـه
تصفـر الـريـح ، وتـرفـض الديـم
بابه مثلـي جبـان . . كلمـا
جـابـه الـريـح .. دعـانـي وانهزم
.

وهذا الذي ذكرت من أمثلة على ظاهرة (تجسيد الألفاظ) ماهو إلا غيض من فيض امتلأت به القصائد .. حتى لا تكاد تخلو واحدة منها من مثال أو أكثر على هذه الظاهرة الواضحة عند الشاعر .. المميزة له .. والتي جعلته يتبوأ مكانا رفيعا في شعرنا العربي الأصيل المعاصر .

٤- ظاهرة الغنائية الساحرة .. أو التناغم الموسيقي لآسر :

وهي ظاهرة أصيلة واضحة عند الشاعر

المولع ، بالطبيعة والحسان ٠٠ والموسيقى والألوان ، حتى لكأن هناك قاسما مشتركا بين معظم قصائد الشاعر ، تمثله تلك الظاهرة خير تمثيل :

سحر ٠٠ كرمى لعيني سحر
ولأتراب الصبا ٠٠ والصغر
علقت عيني نبي شاعر
كوخه في طلة المنحدر
كان بالأمس ملاكا بشرا
ثم صار اليوم فوق البشر

.

ويتابع الشاعر أغنيته ٠٠ عفوا قصيدته " سحر " التي تمثل نبعا موسيقيا حالما فيقول :

وله بيت عروس هادىء
وادع ٠٠ خلف حدود النظر
مستحم بالضحى ٠٠ طاف به
كل نيسان ٠٠ ندي ٠٠ عطر
وصبايا الجن يطفرن على
سطحه ٠٠ في أمسيات السمر
غنة الأرغن فيه ٠٠ وبه
بحة الناي ٠٠ وبوح المزهر
فتعالين نزره ٠ ٠ مرة
واضياع العمر إن لم نزر٠٠

.

أما في قصيدة (حواء) شأنها في ذلك معظم قصائده ، فأنت تشعر أثناء قراءتها بنشوة غامرة من الموسيقى والألحان ٠٠ قد تدفعك إلى الغناء على أنغام تفعيلاتها المرقصة الآسرة ٠٠ وقوافيها الطيعة الساحرة ٠٠ المنسابة كنبع من الألق والعبق ٠٠ أو نهر من الصبا والجمال :

البيت ٠٠ تفجر أضواء
والدار تراقص ٠٠ إغراء
والشرفة تهمس ماجنة
وتضم ٠٠ وتغمر إيماء
شرقت بالعطر نوافذها
ألآن هناك الشقراء
ويداك ٠٠ يداك إذا التقتا
والماء ٠٠ حسبتهما الماء

-٥-

والآن ٠٠ وقبل أن تصل رحلتي الأدبية مع الشاعر حامد حسن محطتها الأخيرة ٠٠ لا بد لي من أن أقف قليلا عند ظاهرة (الهم الوطني والبعد القومي في شعره) ، ذلك أن مجموعاته الشعرية الأولى كانت تركز على (الهم المعاشي والاجتماعي والأسري) الذي يشكل الهم الأول والهاجس الأكبر للانسان ، وهو - أي الشاعر حامد - معذور في ذلك ، فالانسان عليه أن يعيش قبل أن يتفلسف كما قال أحد الحكماء ذات يوم وقد كان ذلك الهم ٠٠ الأول والأكبر ٠٠ والشغل الشاغل للشاعر في المراحل الاولى من حياته ، وإلا لما تفجر ألمه في هذا المجال عن عدد من روائعه الشعرية التي أشرت الى بعض منها ٠٠ وبخاصة قصيدة (كوخ الشاعر) ٠٠ وغيرها ، في الوقت الذي قلت فيه قصائده الوطنية والقومية في تلك المرحلة الصعبة من حياته المعيشية ٠

ولكن انعطافا واضحا حصل بعد ذلك في مسار الشاعر نتيجة الأحداث الجسام التي مر بها الوطن والأمة ٠٠ وبنتيجة تأمين (الأمن المعاشي أو الاقتصادي للأسرة) إن صح التعبير ، وهذا ما أعطاه بعدا إيجابيا جديدا جعله يبدع فيما يبدع فيما بعد عددا من القصائد التي تحمل الهمين (الوطني والقومي) على حد سواء ٠٠ وتتغنى بأعراس الوطن وانتصارات إنسانه ٠٠ وبخاصة تلك التي خص بها " حرب تشرين ٠٠ وصانعها " اللذين حظيا من الشاعر المبدع بأكثر من قصيدة خالدة :

" تشرين " لله ما أعطى ٠٠ وما وهب
جاز النجوم مدى ٠٠ واقتدها لعبا

أغليت تشرين ، مهدت الضلوع لـه
بيتا•• فرشت له العينين والهدبا
مر الصباح •• ونيسان الحياة على
" تشرين " فاستوهباه زهوة وصبا
قالوا : العروبة والتاريخ ، قلت لهم :
لـولا دمشق العلا أنكرتها نسبا

•

ويتابع الشاعر الفخر بقومه ووطنه في قصيدة (أطلع سراياك) فيقول :

لنا المنى •• وشموخ الكبرياء ، فإن
أنزلت واحدنا دون النجوم•• أبى
صدورنا لجراح المجد مزرعـة
ولا نـدل بهاتيها •• ولا عجبا
ذا الجهـاد أدار الكأس مترعـة
للشاربين •• طفونا فوقها حببا

•

أما في قصيدة (صانع تشرين) فإن الشاعر يتغنى بالوطن وأمجاده ، وبالحب الذي يكنه له ، وبالحب الذي يجمع بين الشعب ، ويوحد طوائفه وأفراده كافة :

وطـن •• درجت عليه منذ المـولد
أنـا لا ألام إذا نـذرت لـه غـدي
وطني عشقتك ثائـرا •• متمـردا
وأنـا أبـن هـذا الثـائـر المتمـرد
علمتني الحب الذي نادى بـه
عيسى •• وكان شعار آل محمد
لا شيء غير الحب مكتوب على
بـاب الكنيسة أو جـدار المسجد
ومن الطبيعـة أن تقـوم عـداوة
بين الصباح •• وبين عين الأرمد

•

أو تلك القصائد التي خص بها الشهادة والشهداء ، والتي تدور هي الأخرى في فلك الهيمن (الوطني ، والقومي) على حد سواء ، ففي قصيدة (تلقفك اللظى) التي يرثي الشاعر فيها الشهيد الشاب عدنان مخلوف يقول :

لثوبـك •• إن ثوبك أرجـوان
تهيـب أن يطـوف بـه الـزمـان
حنوت أضمـه ألقـا •• وطيبـا
لأن الفجـر حـولـك ديـدبـان
أتيت إليـك •• يحملنـي حنيني
وأصدق ما يجيش به الحنان
إذا قلت : الشهيد •• انهل فجر
على شفتـي •• واعتـذر البيـان
عطاؤك •• لا الزمان يحيط فيـه
- على سعة الزمان - ولا المكان

•

أما في قصيدة (موسم الشهداء) التي القاها في أربعين العميد الشهيد محمد حرفوش فإنه يقول :

أنا ما عرفـتك يا " محمد " إنما
بالسمع ينهب الجمال •• ويجتنى
أنا في الطريق إلى ضريح " محمد "
وكأنني ألج الطريق إلى " منى "

•

ويتابع الشاعر قصيدته الانسانية هذه ، فيعقد مقارنة ناجحة بين واقعه الحياتي المعاش وبين واقع الشهيد المرثي فيقول :

أنفقـت عمرك كله طمعـا بمـا
يـرضي العلا•• وزهاده في المقتنى
ورأيت بيتـك خاليا من كل ما
يحتاجه ، فكأنه بيتي أنا ••!!
كوخان •• عششت الخصاصة فيهما
والكـوخ أبعد مايكـون عـن الغنى
اثنـى عليك الشاعرون ، وإنمـا
في مذهبي ، أنت الثناء على الثنا

•

ولعل مسك الختام في هذا المجال•• مجال الشهادة أو الشهداء هذه الابيات المختارة من قصيدته التي رثى فيها الشهيد المقدم (أنيس

صقر) الذي استشهد في لبنان ، والتي ألقاها في ذكرى أربعينه أيضا ٠٠ فماذا قال في تلك الذكرى؟ وما اللوحات الشعرية الفنية التي حملتها لنا معها تلك الأبيات ؟

الضحى ٠٠ أم قميصك الأرجوان
يتحدى بك الخلود الزمان
قطرة ٠٠ قطرة على الرمل
فالرمل على عقمه حنان ٠٠ حنان

وبعد هذه المقدمة التي ارادها الشاعر مدخلا مأساويا لموضوع الحدث المفجع ، راح يحدثنا عن بطولات الشهيد فوق الساحة اللبنانية الشقيقة ، وعن شجاعته التي طوح بها الغدر٠٠ وأرداها الجبان :

حدثوا عنك يا " أنيس " وما غالى ولا بالغ
الشهود العيان
ارض " لبنان " كلها والسماوات جحيم ٠٠ ومارج
٠٠ ودخان
طوح الغدر بالشجاعة ، والغدر - على فتكه -
جبان ٠٠ جبان

الى أن يقول :

قصر الشعر عن علاك ، وما وافاك - مهما تألق -
المهرجان

ولا ينسى الشاعر - ونحن نتحدث في مجال الرثاء - عددا من أصدقائه الشعراء الذين قطعوا العمر كفاحا ونضالا من أجل بناء مدنهم الفاضلة التي تحمل السعادة لهم وللانسانية جمعاء ، والذين سبقوه في الابحار على سفينة الخلود نحو شواطىء الابدية ، فيخصهم بقصائد رثاء تحمل معها روحه وقلبه على حد سواء ٠

يقول في قصيدة بعنوان " مارمد الجمر في قومي) التي رثى بها الشاعر الانسان (وصفي قرنفلي) باكيا :

مضى ٠٠ وخبأه في صدره الأبد
وغص باللحن والأغرودة ٠٠ الغرد
وعاش كالحق ٠٠ منسيا ومضطهدا
ومر كالطيف لم يشعر به أحد
مات الأبي ، فكان الموت مولده
من ظن ؟من قال : إن الموت لايلد

الى أن يقول :

وصفي " وفي الكأس بعض الخمر أغفلها
صحبي ، تلح ٠٠تناديني ٠٠ ولا أرد
"وصفي " وإن عشت مصلوبا ٠٠ فما صلبت
روح الأبي ٠٠ ولكن يصلب الجسد
يلوح وجهك من خلف الدخان ٠٠ كما
يلوح خلف شفيف الغيمة الرأد

أما في قصيدة (لا تجزعن من العقوق) التي يرثي بها صديقه الشاعر الحمصي الاخر (رفيق فاخوري) فإنه يقول ٠٠ بعد أن لفه الحزن ، ولوعه المصاب :

سيان بعد العبقري الملهم
إن تنجدي يالوعتي ٠٠ أو تهتمي
ياموسم النكبات إن بني أبي
كانوا - ومابرحوا - قطاف الموسم
لك " يارفيق " أمام عيني صورة
مرسومة ٠٠ وحبيبة لم ترسم
وعلى جبينك شعلتان من السنا
وعلى قميصك نقطتان من الدم

ويتابع الشاعر بكاءه ، عفوا رثاءه فيصف صديقه الشاعر الراحل (رفيق فاخوري) الذي قضى بحادث سيارة - بما هو فيه من صفات حياتية شخصية ٠٠ كاعتزال الناس ٠٠ والعزوف عن الزواج والنساء ، وبما يتمتع به من مكانة شعرية فنية فيقول :

قيل : اعتزلت الناس خيفة كيدهم
وأراك لو سالمتهم لم تسلم

إن جادلوك وأخطأوا ·· فعقابهم
صبر الحليم ·· وبسمة المتهكم

لكنهم ·· وغداة باكرك الردى
ندموا، ولكن لات ساعة مندم

علمتني معنى الحياة ·· وليتني
في البعد عنهن اتبعت معلمي

أنفقت عمرك طامعا في كل ما
يرضي الضمير ··وزاهدا في المغنم

أنفقت زهو العمر ··تحلم ··شاعرا
ماضيق الدنيا إذا لم نحلم

وأخال أنك بيننا ·· متوهما
فأضيع بين حقيقتي ·· وتوهمي

وإذا الشتاء أتى ·· أحالك نغمة
في الجدول المترنح ·· المترنم

حتى إذا وفد الربيع ، وبرعمت
أوراده ، كنت الشذا في البرعم

وترف في الصيف الوهيج غمامة
يصبو الى قطراتها الكبد الظمي

ستظل في وتر البيان قصيدة
وعلى شفاه الفجر رشة عندم

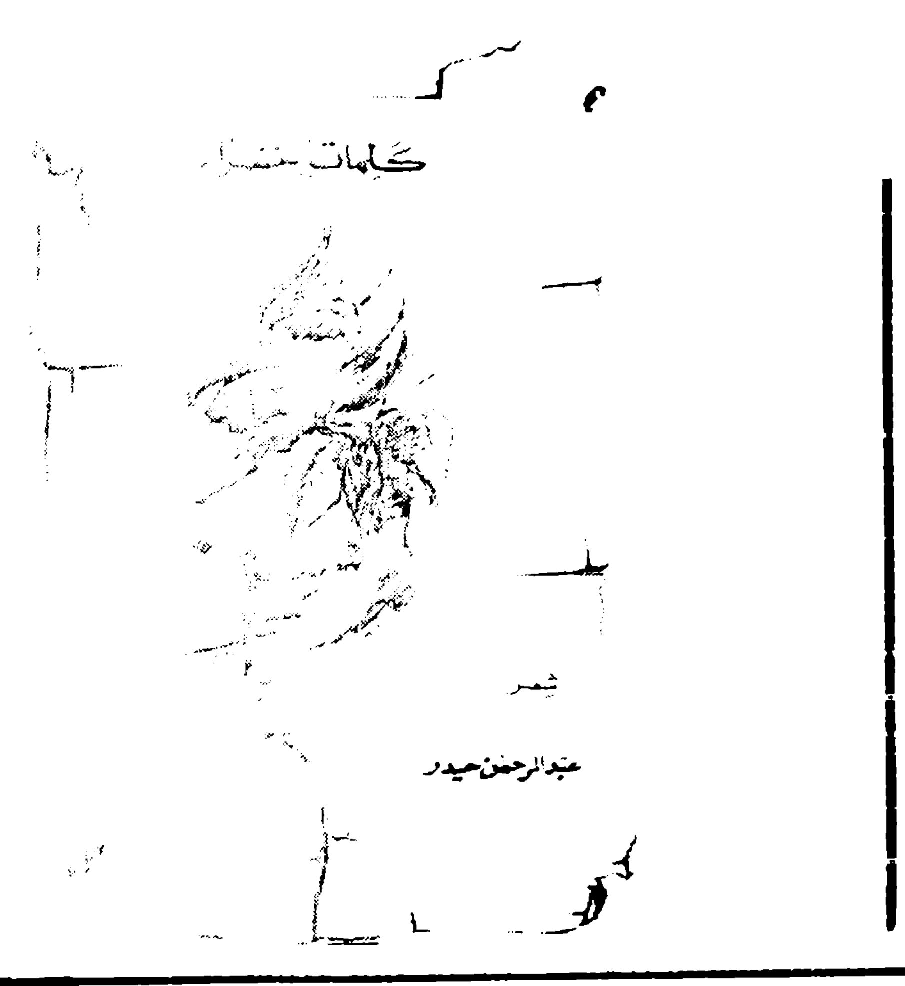
-٦-

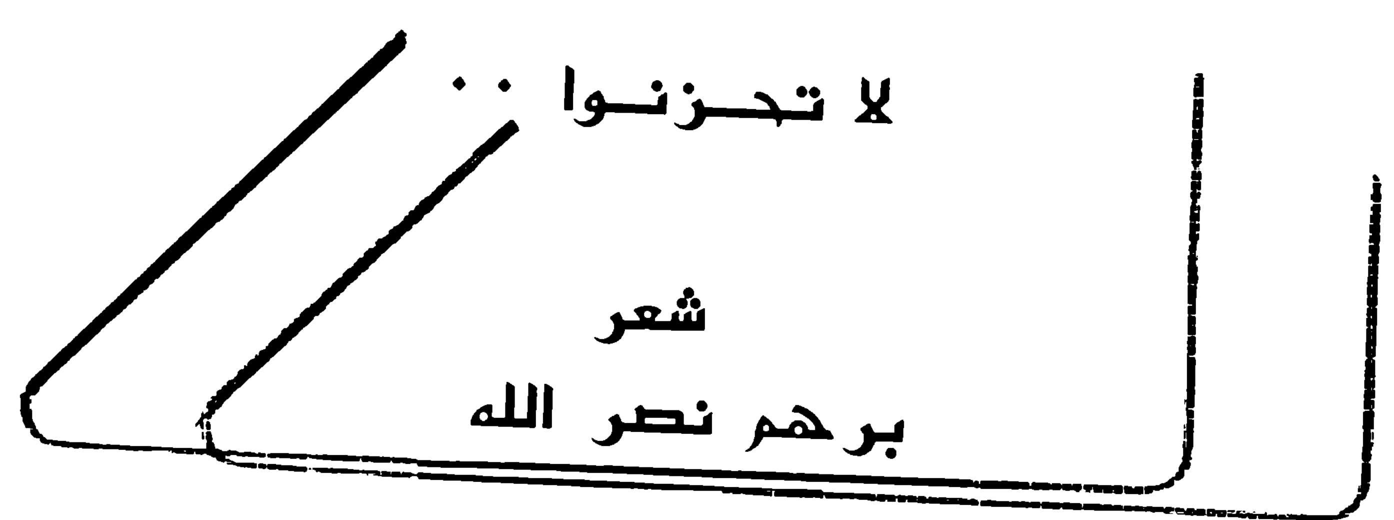
هذا ما أردت قوله في نهاية رحلتي الأدبية مع (حامد حسن) شاعر الطبيعة والجمال ، والوطن والانسان ، مع " صناجة " الشعر العربي الأصيل خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، مع الذي نفح مكتبتنا العربية وشعرنا المعاصر بمختاراته الشعرية التي اشرقت فيهما إشراق الأمل وأزهرت إزهار الربيع ·· وولدت في حياتيهما معاني الجدة والاستمرار والخلود ·

وللحقيقة بأبعادها كافة أقول :

لقد أبحرت من خلال تلك المختارات في محيط شعري وأدبي وفني زاخر ، قادني في نهاية المطاف الى اعتبار صاحبها الشاعر الكبير حامد حسن شاعرا طليعيا مجددا ، ورائدا شعريا أصيلا وواحدا من جيل الشعراء الأمراء الذين يزهر بهم (برناس العرب) ليس في وقتنا المعاصر فقط ، وإنما في كل مكان ، وعبر كل زمان ·

* * *





لا تحـزنـوا ..

شعر

برهم نصر الله

- لا تحزنوا يا سادتي ، لا تقلقوا ياسادتي ،
- فالموت - في ملاحم الحياة - كالولادة
- الموت كالتقديس ، والايمان ، والصلاة ، والعبادة
- الموت فعل شامخ الأركان والبنيان
- الموت كأس علقم المذاق
- لابد أن يشربه الانسان
- العبد والسلطان
- جميعهم سيقصدون ذلك المكان
- مأدبة الموت ويشربون آخر المطاف
- من ذلك الشراب
- وتستكين النفس في دوامة الرقاد طاردة عواصف العذاب
- ألا ترى في الموت مفتاح الحياة القادمة
- مسجلة لعالم الخلود
- بكل نفس آثمة
- وكل نفس سالمة
- كلاهما ستشهد الحساب
- فتلك في طريقها الشوكي للعقاب
- وهذه مآلها الثواب
- يا إخوتي ، يا إخوة الايمان
- فلتنحن رؤوسنا
- ولترتو قلوبنا
- من منبع الايمان
- يا ليتنا نروض النفوس
- يا ليتنا نصبر النفوس
- على بنات الدهر
- على مآسي الدهر او تقلب الزمان
- فالبعث والغفران آيتان
- يا سادتي لا تحزنوا يا سادتي
- فالموت حق - في رسالة الحياة - كالولادة
- والموت وقفة الخشوع في بوابة الجنان
- وسلم الصعود للآمان
- ومركز النهضة للقيامة
- يا سادتي

**

- يا سادتي : إن الحياة كلها بحر من الأضداد
- فكل فعل يرصد الآخر بالمرصاد
- وكل حرف تحت نور الشمس والنجوم
- إن بث في الاسماء والافعال
- فإنه يشير للأضداد ، للجدال
- في كل ما قيل وما يقال
- في لجة الأعمار والضمير والخيال
- في ذلك الجواب والسؤال
- تنبثق الأضداد
- كأنها البياض والسواد
- كأنها ظلال الموت والميلاد
- فعمروا يا سادتي حياتكم بالبر والتقوى وبالسداد
- وابعدوا نفوسكم عن وسوسات الشر والضلال والالحاد
- وعلموا الضعاف في الايمان
- بأنهم في رحمة الديان
- فهو الذى أعطاهم هدية الحياة

- وهو الذي قد أوجد الممات
- وهو الذي يعلم بالأسرار
- وهو الذي قد اسدل الظلام
- ووحده للألى والأقوال
- ووحده يدرك ما يبحر في الصدور والعقول والقلوب
- وكل ما نرجوه من قلوبنا أن تؤمنوا بالموت كالحياة
- فنحن في حياتنا نطفو على بحر من الأسرار والأضداد
- فلتبشر النفوس من جديد
- فالموت : أيضا بعده الميلاد
- الموت أيضا بعده الميلاد

**

- يا أيها الاخوة في الايمان
- هذا نداء الشعر والوجدان
- مؤجج بالنار والأحزان
- يحرق الفؤاد والعيون والأجفان واللسان
- وهذه حقائق الحياة والانسان
- وهذه سيرة الأكوان
- يا سادتي
- لا فرق بين الخلق إلا بالفعال الطيبة
- فهذه سبيلها الى البقاء
- وصاحب الافعال للفناء
- لا فرق بين العبد والأمير
- لا فرق بين الطفل والكبير
- جميعهم ينتظر المصير
- فقدرة السماء ، وحكمة السماء
- تسطع كالشموس
- فتصمت النفوس
- في لحظة الممات
- يا سادتي لا تحزنوا لا تحزنوا ، جميعنا للموت سائرون
- جميعنا لتربة الأوطان عائدون
- فبعضنا تجرع العذاب
- وبعضنا تلذذ الأطياب
- لكننا حين يحل الموت كالبركان
- نلبس ثوب الصمت والسكون
- لنسكن في غياهب القبور
- نعود للتراب
- جميعنا نعود للتراب
- فنحن - أبناء البشر - جميعنا سواء
- جميعنا يا إخوة الايمان
- قد جبلت في أجسادنا من تربة وماء
- وأبحرت في رحلة الحياة والعطاء
- لكننا في آخر المطاف
- نعود من حديد

نعود للثرى

- لأننا من تربة وماء
- جميعنا يا سادتي ينتظر الفناء
- ورحمة السماء .. ورحمة السماء ..

برهم نصر الله

القيت بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة الغالي " أبي محرز " رحمه الله .

حَوْلَ ظاهرة القرآن الكريم

لواء سلامة

القرآن الكريم خطاب الله (جل جلاله) الى بني البشر قاطبة ، ولعل أهم مسألة احتوت عليه مباحثه ، هي مسألة التوحيد - وحدانية الذات الالهية - وهي من المركزية مايجعلها، محط إهتمام أعظم ، كونها تتناول الذات الالهية ، كذاته وكصفات وأفعال إذ تعرف بذاته - المقصود مسألة التوحيد - المطلقة وتبرهن على وحدانيته في الانجاز الكوني الكلي ، وتدبيره وعظمة صنعه وإبداعه وحكمته ، ومن بين الانجازات العظمى - للخالق عز وجل ، إنجازا بمستوى وبوزن الظاهرة ، ألا وهي ظاهرة القرآن الكريم ؟.. فلقد جعلها الله سبحانه وتعالى الطريق الأوحد الى معرفته ، والسبيل الأقوم الى فهم الكون ، والرؤية القويمة للحياة وتنظيم العلاقة بين سائر البشر ، في شؤونهم الكلية ، فإلى بعض من مشكلات هذه الظاهرة العظمى والمجيدة ، نلقي النظرة الى الداخل ، بعد انبلاجها الذي أحدث انقلابا ، وتغييرا في الحياة الانسانية شمل كل مناحي الحياة وامتد شعاعه النوراني الى كل الاصقاع ، فأذهل العقول ، واكتسح الحضارات وأقام فوق ركامها ، كبرى الحضارات ، وأكملها طهرا ، وجمالا ، وكمالا .

ا - تعريف الظاهرة :

كلمة اولى - القرآن الكريم ، أسمى من أن يعرف ، ولكن جرت سنة المعنيين علما به ، وحراسة له أن يعرفوه تعريفا بين الجمع ، والمنع ومع ذلك جاءت تعاريفهم شتى ، ولكنها متقاربة من حيث المعنى الواحد فقالوا :

آ- إن القرآن الكريم هو الكلام القائم بذات الله (سبحانه وتعالى) وما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلا متواترا (١)

ب - إن القرآن الكريم : الذي في المصاحف ، بأيدي المسلمين شرقا ، وغربا فما بين ذلك من أول أم القرآن الى آخر المعوذتين كلام الله (عز

وجل) ووحيه أنزله الله على قلب نبيه محمد (ص) ومن كفر بحرف فهو كافر (٢)

ج - القرآن الكريم : هو الكتاب المنزل على رسوله (ص) المكتوب في المصحف ، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة (٣) ٠

د - القرآن الكريم : هو الكتاب المنزل على رسوله محمد (ص) والمدون بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس (٤)

هـ - اللفظ العربي المنزل على محمد (ص) المنقول إلينا بالتواتر (٥)

٢- أسماء الظاهرة وأوصافها :

للقرآن الكريم اسماء عديدة ، وأوصاف كثيرة ، تعكس عظمة منزله - الله (عز وجل) فوصفه بـ (الحكيم) مثلا لإحكام صياغته ، ولإحتوائه على الحكم والعبر ٠

ووصفه بالنور لأن الرؤية لا تتم وإن وجد البصر - إلا بنوره - ولعل الآية الكريمة تبين ذلك: (قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (٦)

وبهذا لا بد لنا من ايراد بعض أسماء الظاهرة القرآنية وأوصافها ، ومواضعها ، بين دفتي الكتاب الكريم فهو القرآن : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) (٧) ٠ فإن قلنا أن القرآن مصدر أو وصف مشتق ، فمعناه (الجمع) من قولهم قرأت الشيء أي جمعته (٨) بدلالة قوله تعالى : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) (٩) وهو ايضا الكتاب (وأنزل لنا معهم الكتاب بالحق) (١٠) (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) -١١- (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) - ١٢- وهكذا تتعدد الاسماء مقرونة منطقيا بأوصافها المثلى الى - الفرقان - الكلام - الهدى - الذكر - وغير ذلك ٠

١- تأريخ الظاهرة :

كان نزول القرآن الكريم في زمن شريف ، هو شهر رمضان المبارك ، وليلة كريمة ، هي ليلة القدر ، وبلد حرام هو مكة المكرمة وبلغة قدسية ، هي اللغة العربية ، وتعد الظاهرة القرآنية ، جوهر الدين الحنيف ، وثالث رسالاته السماء ، وذاته موقع تاريخي في علم الفكرة الدينية من حيث وجودها وتفاعلها وممارستها ، ولقد دلل الحق عز وجل على حدوث سابقاتها من حيث ما بات يعرف بالرسالات السماوية في التاريخ الانساني وفق تقريرات القرآن الكريم التي تشير الوقوع :

- تاريخيا - (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين) (١٣) (إذ قال الله يا عيسى بن مريم وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) (١٤) (وآتينا داود زبورا)(١٥) ٠

ولكن ، وفي مرحلة متقدمة ، من زمن الفكرة الدينية ، نجد التوكيد والوضوح ذاته إزاء الرسالة - القرآن الكريم - والرسول (محمد ص) بتقرير القرآن الكريم في محكم قوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (١٦)

لكن في إطار عموميات الفكرة الدينية هناك خصوصية ؟ كون الظاهرة القرآنية على امتدادها التأريخي وتميزها بالتوسع البحثي لم يبرز أو يظهر ما يشابهها بالرغم من وحدانية المصدر في عموم الفكرة الدينية - كرسالات - وكانت ولا زالت وستبقى على مستوى لا نظير له من الكمال ، بلا زيادة أو نقصان ، كما جاء في خاتمة الوحي في خبر الحق جل وعلا : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (١٣) ٠

الظاهرة - الوحي والرسول :

(ولا تعجل بالقرآن قبل أن يقضي إليك وحيه)

ان العلاقة بين القرآن والوحي والرسول ، هي علاقة مثلثة وذات عروة وثقى ، ترابطا وتكاملا يهندسها الله (عز وجل) ويشرف على مراحل سيرها وتطورها المضطرد ، حتى الخاتمة ، وان لهذه العلاقة وضوحا وتفصيلا بارزا في مواضع عدة من صفحات القرآن الكريم ، وهاهي الايات الكريمة تبرهن على وثاقية العلاقة بينهما كعناصر معادلة واحدة .

(قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون إن يوحي إلي انما أنا نذير مبين) ١٩

(ذلك من أنباء الغيب نوحي إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)٢٠

(وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا واشهد وأننا مسلمون) -٢١-

فهذه الايات تسوق معنى الوحي لغايات جدلية ، كما تتيح للنبي (ص) ان يستخدمها برهانا في محاجته خصوم دعوته ، كما تسوق معنى الكلمة الحاجة النبي (ص) الشخصية من أجل تربيته

وإعداده الشخصي لفهم طبيعة الظاهرة القرآنية ، وأخرى تعطي الوحي معنى كشف المغيب ؟.. مغيب محدد تماما يصم التفاصيل المادية لمشهد روحي خالص . وبعد .. فليس لأحد أن يرتاب فيما تحتويه هذه الايات ، من فصل قاطع تاريخي ونفسي ، بين الشخصية البنوية والوحي القرآني ،

عظيمة هي الطبيعة .. في عالمنا المادي قاطبة ، ودليل أكبر على وجود المبدع الأوحد ، مهندس الكون وصانعه ، ومؤثره هي نعم الخالق علينا وكثيرة ، فأين قيمة ذلك في العلم والعلماء؟ وأصحاب البحث العلمي .. وهاهي دعوة القرآن الكريم وهو يخصصهم ويشير إليهم :

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)[٢٨]

الظاهرة والتوحيد :

في بداية مقالنا هذا كنا قد اشرنا في مستهلها الى أن أعظم مسألة انطوت عليها مضمونات الظاهرة القرآنية ، هي مسألة التوحيد ، وحداينة الله عز وجل ، خالق الكون وصانع الخلائق كليا ، إذ حفلت سور وآيات القرآن الكريم بالاشارة الى هذه الوحدانية العظمى بأكثر من ٦٠ مرة في عبارات متنوعة ومواضيع مختلفة ونعرض البعض منها :

(قل هو الله أحد) ٢٩

(لا إله إلا هو) ٣٥

(لا إله إلا أنت) ٣١

(لا إله إلا أنا) ٣٢

(مالكم من إله غيره) ٣٣

(ماكان معه من إله)٣٤

إنما إلهكم إله واحد)٣٥

إن آيات التوحيد هذه . تلفت النظر للانسان، سواء في دعوتها الى عبادة الرب الواحد، أو في نبذ العبادات الاخرى على تنوع أشكالها العبادية ، واختلاف ذواتها المؤلهة ، من حيث طبيعتها وجوهرها ، وتتحداها في الخلق ، وتنفي شراكة أحد في صنع الله - جل شأنه - للوجود.

(هذا خلق الله فارو لي ماذا خلق الذين من دونه بل الضالون في ضلال مبين)٣٢

(قل من رب السموات والأرض قل أفماتخذتهم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير)٣٣

إن الله يهيب بالعقل الانساني أو يتبصر ذاته وما حوله وما فوقه وتحت أقدامه من ظواهر ذلك الفصل الذي متى ما استقر في شعور النبي (ص) أضاء جوانب الظاهرة القرآنية .

الظاهرة والطبيعة :

ان القرآن الكريم ، حافل بقضايا ، ومسائل ومواضيع متعددة ، وقد احتوت مباحثه

على موضوع الطبيعة في سورة وآياته وحيث توجد أكثر من ٧٥٠ آية تشير الى الظواهر الطبيعية ، وتدعو الى تأملها وتدبرها والنظر في خلقها ، والتعمق بها وصولا الى الايمان بعظمة خالقها وصانعها ، وهذه الظواهر من الوجهة القرآنية ، آيات للحق عز وجل ، إذ أن معرفة الطبيعة ليست غاية في ذاتها فحسب ، وإنما وسيلة من وسائل الاستدلال على وجوده ، سبحانه وتعالى ، على أن الطبيعة يمكن تعريفها بـ (العالم المادي) أي العالم الذي نتعامل معه من خلال حواسنا ، كما أن للظواهر ذاتها - الطبيعية - منافع وخيرات كبيرة وضرورية أساسية في توازن الكون واستمرارية الحياة ، فقد أمرنا الله جل جلاله بأن نحسن استثمارها بالوقت الذي دعانا الى تأملها والنظر بها كما قال :

(قل انظروا ماذا في السموات والارض)

(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ٢٣

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدء الخلق) ٢٤

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) ٢٥

إن هذه الايات تحاكي الناظر المتأمل ، وتشير أنه بالامكان معرفة الطبيعة مرئيا وحسيا ، بعد أن أودع الله الامكانات اللازمة لذلك في الذات الانسانية ، والطاقات التي تؤهلها الى سبيل المعرفة والعلم وما عليه - الانسان - إلا أن يحسن استخدامها وتوظيفها كما في قوله تعالى :

(وعلم آدم الاسماء كلها) ٢٦

(علم الانسان مالم يعلم) ٢٧

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار ، والافئدة لعلكم تشكرون) ٠

وموجودات وضائع ، ان يتبصرها ويتأملها ، ويفكر في ذات خالقها وصانعها ، وأن يتحسس مواطن ضعف عباداته الضالة والربوبيات المزيفة ، ويلتفت الى حقيقة خالقه ، وصانعه ، وموجده ، وعبادته الواحدة ، المثلى ، والاعتقاد الاوحد به بما أودعه وأوهبه ، من طاقات التفكير الصحيح التي تنير التوجيه السليم الى الله الأوحد ، وتستطرد آيات التوحيد الى فرضية وجود إله آخر غير الله ، أو وجود أكثر من إله في الكون ٠

(ما اتخذ الله من ولدوما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ٣٨

(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا سبحان الله رب العرش العظيم) ٣٩

الظاهرة القرآنية - القيمة الروحية والاجتماعية -

لا شك أن ظاهرة القرآن الكريم ذات مصدر إلهي عظيم ، ومستقلة ومعصومة ، عن تداخلات وتأثيرات العقل الانساني المخلوق ، كون الظاهرة خطاب الله رب السموات والارض الى العنصر الانساني العاقل ، مستوطن الارض وهو بموقع المخاطب ، فقد اشتملت هذه الظاهرة على عنصرين مركزيين ، في إطارها الاصولي ، وهما العنصر الروحي إثاراته ويقاظاته الفطرية والوجدانية والنفسية ، والذهني كعنصر ثاني ومحوري في بنية الفرد البشري ، فالظاهرة ، فالظاهرة القرآنية موجهة بكل تركيزها على هذا المخلوق المميز والمستخلف في الارض وهو محور السياسة الالهية التي لم يتقطع حوارها له ومعه عبر الرسل والرسالات وبرهانيات الوجود وتحولاتها ، وقد انطوت صفحات هذه الظاهرة - القران الكريم - على أفكار ومبادىء هادية له في مسيرة حياته وتعاقب أجياله ، وتنوع هواجسه ، فكانت له دائما مرجعا توجيهيا في كل شؤونه ، وعلاقاته وحركته

وكانت آيات القرآن الكريم على قدر كبير من الاشارة والعرض والتفصيل ، عمقا وتوسعا ، على عكس لغة الرسالات الاخرى في الزمن الغابر ، من توراة موسى عليه السلام - الى انجيل عيسى عليه السلام التي انطوت على الاقتضاب ، والاشارة ، والرمز والايماء .

إنه القرآن الكريم خطاب الله - سبحانه وتعالى - الى البشرية برمتها ، العلم الكامل ، والتشريع الحقوقي ، والمخزون العلمي ، والفكر المعرفي ، والثقافة الشاملة ، والنظام الأخلاقي والقيم والتربوي ، فما من شيء ، إلا ونجد له إشارة وتفصيل في الكتاب المبين ، كونه من لدن عليم حكيم ، وقد أقامه على أساس شمولي محكم خالدا لكل الازمان والاجيال وجعله هاديا الى الحق المبين (ان في السموات والأرض لآيات للموقنين) صدق الله العظيم .

لواء سلامة

إشارات المراجع :

١- الغزالي : المستعفى ج ١-٦٥
٢- معجم فقه ابن حزم :مجلد ٨٣٣،٢
٣- أصول البزوري ج١-٢١-٢٣
٤- عبد القادر عودة : التشريع الجنائي ج ١-١٦٥
٥- محمود شلتوت - الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢٩٩
٦- قرآن كريم - سورة المائدة آية ١٥-١٦
٧- سورة الحشر آية ٢١
٨- القسطيني الطائف الاشارات ج ١-١٨
٩- قرآن كريم : سورة القيامة آية ١٨
١٠- قرآن كريم : سورة البقرة آية ٢١٣
١١- قرآن كريم : سورة البقرية آية ١-٢
١٢- قرآن كريم : سورة مريم آية ١٢
١٣- قرآن كريم : سورة الاعراف آية ١٤٤
١٤- قرآن كريم : سورة المائدة آية ١١٠
١٥- قرآن كريم : سورة النساء آية ١٦٣
١٦- قرآن كريم : سورة الجمعة آية ٢٠
١٧- قرآن كريم : سورة المائدة آية ٤-٥
١٨- قرآن كريم : سورة طه آية ١١٤
١٩- قرآن كريم : سورة ص اية ٦١-٧٠
٢٠- قرآن كريم : سورة آل عمران آية ٤٤
٢١- قرآن كريم : سورة المائدة : آية ١١١
٢٢- قرآن كريم : سورة يونس : آية ١٠١
٢٣- قرآن كريم : سورة الزاريات آية ٢١
٢٤- قرآن كريم : سورة العنكبوت اية ٢٠
٢٥- قرآن كريم : سورة الروم اية ٢٢
٢٦- قرآن كريم : سورة البقرة آية ٣١
٢٧- قرآن كريم : سورة العنكبوت اية ٣٥
٢٩ - قرآن كريم : سورة الاخلاص اية ١
٣٠ - قرآن كريم : سورة البقرة أية ١٦٣
٣١- قرآن كريم : سورة الانبياء آية ٨٧
٣٢- قرآن كريم : سورة طه آية ١٤
٣٣- قرآن كريم : سورة الاعراف آية ٨٥
٣٤- قرآن كريم : سورة المؤمنون آية ٩١
٣٥- قرآن كريم : سورة الكهف آية ١١٠
٣٦- قرآن كريم : سورة لقمان آية ١١
٣٧- قرآن كريم : سورة الرعد اية ١٦
٣٨- قرآن كريم : سورة المؤمنون اية ٩١
٣٩- قرآن كريم : سورة الانبياء اية ٢٢
٤٠- قرآن كريم سورة الجاثية آية ٣

مقدمة ابن خلدون

من منا لا يعرف ابن خلدون وكتابه التاريخي الكبير المعنون " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر " فهو ، والحالة هذه مؤرخ بالدرجة الاولى ، ولكنه معروف بانه مفكر كبير وفيلسوف اجتماعي وسياسي سجل آراءه في المقدمة الطويلة التي تؤلف - وحدها - كتابا قائما بذاته ، والتي اشتهرت أكثر من الكتاب الذي قدمت له ٠ والعالم الذي يهتم بالفلسفة والاجتماع انما يعرف ابن خلدون من خلال هذه المقدمة ٠

كان ابن خلدون يؤلف كتابه - وبالتالي مقدمته - في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي وكان يكتب طبعا بلغة عربية فصحى لقوم يفهمونها فعنون الفصل السادس والعشرين من المقدمة - كما نقرأ في الصفحة ٤٩ من الطبعة الرابعة الصادرة في بيروت ، عن دار نقرأاحياء التراث : " في آن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ، وعلل ذلك بقوله : " والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة ، وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة ، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له ٠ فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له ٠ فالحجر - مثلا - انما حاجتهم اليه لنصب أثافي القدرة فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه بذلك ، والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران ، هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب مافي أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال النسا حد ينتهون اليه ، بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال

الناس وخرب العمران ٠

فمقدمة ابن خلدون - وهي احدى مفاخر الفكر العربي على مر العصور بما اشتملت عليه من علوم موسوعية بحثها عبد الرحمن ابن خلدون العربي المغربي سابقا اليها جميع العلماء والمفكرين في العالم ٠

ولكن بقدر مايكون الكتاب بالغ الاهمية ، واسع الانتشار بقدر ما يجب على المؤلف العربي ان يحتاط لنفسه من كل فكرة يقدمها او كلمة يقولها لأنه لا يخفى علينا ان العرب مستهدفون من قبل العالم كله ٠ انهم شعب مخيف يحسب حسابه ولهذا يراقب العالم كل حركة او حدث يصدر عنه فالشعب الذي قضى في فترة قصيرة للغاية على أكبر امبرطوريتين عرفهما العالم القديم ، الفارسية والرومانية ، والذي تستعمل كل لغات العالم حروفه وأرقامه للتعبير عن كل شيء والذي كانت الشوارع المبلطة في مدينته قرطبة تنار بالمصابيح ليلا يوم كان الانسان في شوارع مدينة شهيرة كباريس يغرق في الوحل حتى ركبتيه ٠ هذا الشعب الذي يقبض على أعناق البحار في أهم منطقة ستراتيجية في العالم تمتد من جبل طارق ملتقى المحيط الأطلسي والبحر الابيض المتوسط ، حتى باب المندب ملتقى البحر الاحمر ببحر العرب وبالتالي بالمحيط الهندي فالهادىء - هذا الشعب الشجاع الطموح مخيف فعلا ، لذلك كان كل ما يتعلق به محل مراقبة ودراسة من قبل الجميع لكي يبقى داخل حدوده فلا يزعج الاخرين ، ولهذا رأينا بالامس ، ونرى اليوم ، اتفاق اكثر القوى الدولية على محاربة أية فكرة وحدوية من شأنها أن توجد في منطقتنا كيانا سياسيا ذا أهمية ٠

وتألبت عليه القوى وحاولت أن تقضي عليه، ولكن هيهات ٠ إنه بألف روح لا بسبعة أرواح فقط كما يقولون فحيويته لا تلبث أن ترجع مما وراء المحسوس فتعيده الى الوجود أقوى مما كان وأفتى مما كان ٠ ولذلك تنبأ المؤرخ العالمي الكبير توينبي بأنه لا يمكن لجسم غريب ، أو لدولة غاصبة أن تستقر وسط هذه الامة العربية البالغة الحيوية منذرا اسرائيل بالزوال الحتمي ، عاجلا أو آجلا ، لهذا السبب ٠

إنها لحرب حياة أو موت ، أعلنتها القوى المعادية ٠ ولذلك - كما قلنا - يجب ان ننتبه الى كل كلمة نقولها او نخطها حتى لا يفيد الاعداء منها ٠ ووراءنا في التاريخ درس لا ينسى فقد بدأت الحركة الشعوبية تحارب العرب مستندة الى آية قرآنية كريمة ، فقد ورد في الاية ١٣ من سورة الحجرات "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" فهب بعض الفرس يقولون ان الله قد فضل الشعوب على القبائل بايراده لفظ الاولى قبل لفظ الثانية ٠ والشعوب نحن - أي الفرس - والقبائل أنتم - أي العرب - ومن هنا اشتقت لفظة الشعوبية ، للدلالة على هذه الحركة الخطيرة التي مازلنا نشاهد آثارها حتى الان ٠ ولأن أكثر الناس يقرؤون نصف الآية ويتركون النصف الاخر فقد كان علينا أن ننتبه الى عنوان الكتاب او الفصل لئلا يقرأ المغرضون العنوان ويهملوا مابعده ، كما جرى بالنسبة الى موضوعنا - العرب في مقدمة ابن خلدون - فلقد عنون ابن خلدون الفصل السادس والعشرين من المقدمة ، كما يلي : " كما سبق أن قلنا : " في أن العرب الخ ٠٠ " وهو إنما كان يعني الاعراب ، أي البدو ، كما يظهر من كلامه ، تحت العنوان ، وقد ذكرنا تعليله لذلك محددا غاية البدو من تخريب البيوت لأخذ الحجارة او الخشب لأغراض حياتهم البسيطة البدائية ، (نصب أثافي القدر وصنع أعمدة بيوت الشعر أي الخيام ٠

ليس هنالك أدنى شك - والحالة هذه -في أن المقصود بالعرب هم البدو ٠ ولكن أعداء العرب من الشعوبيين والاستعماريين ولفيف من المستشرقين صرخوا - حين قرؤوا عنوان هذا الفصل - كما صرخ أرخميدس ذات يوم : وجدتها " لقد وجدوا الدليل على لسان أحد

أشهر المفكرين العرب على ان العرب لا يحلون بلدا الا أسرع اليه الخراب ، وأنهم جماعة سلب ونهب ، فلماذا يكلفون أنفسهم - بعد ذلك - عناء قراءة ما تحت العنوان والتفريق بين البدو والحضر ، عند العرب مثل عند سائر الشعوب ؟ ألم يقل بعض الناس قديما :" لا تقربوا الصلاة " مكتفيا بهذا الجزء من الاية الكريمة مهملا الجزء الثاني من هذه الاية ٤٣ من سورة النساء ، وفي الاية ٢ من سورة الحج : " وأنهم سكارى حتى تعلموا ما تقولون " • ولكنهم يريدون الجزء الذي يوافق مصلحتهم ولو اساؤوا أمانة النقل والرواية • ألم يقل أحد الشعراء :

ما قال ربك ويـل لـلألى كفروا
بـل قال ربك ويل للمصلينا ؟

لكي يبرر لنفسه عدم إقامة الصلاة مهملا القسم الثاني من الاية وهو الذين هم عن صلاتهم ساهون• وليس عسيرا علينا نحن أن ندرك ان ابن خلدون كان يتحدث عن البدو - عن الاعراب لا العرب اجمالا - وهذا ظاهر في تضاعيف كتابه في أماكن كثيرة يصعب احصاؤها • فنحن حتى اليوم ، ما زلنا نقول : " عرب عنزة " ولا عرب الرولى ، وعرب الموالي والحديديين • و عين العرب و بيوت العرب ونحن انما نقصد البدو حصرا •

ولكن المشكلة ان ابن خلدون - في مكان آخر - تحدث عن العرب كلهم فنفى عنهم القدرة على تحصيل العلوم وممارسة الصنائع • فقد قال في عنوان الفصل الخامس والثلاثين " في أن حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته وقرباه ومشيخته • مع ان الملة عربية وصاحب شريعته عربي والسبب في ذلك ان الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة •• وقد كنا قدمنا ان الصنايع من منتحل الحضر وان العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم ، لذلك ، حضرية •

(نلاحظ هنا - انه يقصد البدو ايضا) وبعد عنها العرب وعن سوقها •

قلنا ، ان أعداء العرب الكثر صرخوا : وجدتها ••

وكانوا في غاية السرور عندما جاء بعد نحو قرنين من الزمن ، مؤلف آخر يكرر نظرية ابن خلدون وهو حاجي خليفة المعروف بكاتب حلبي ، في كتابه كشف الظنون ، وفي المقدمة من هذا الكتاب أيضا • ومن الطبيعي الا يسكت المفكرون العرب وبخاصة منهم المهتمون بالمزايا القومية والانجازات الحضارية لأمتهم • ففندوا نظرية ابن خلدون وحاجي خليفة واتخذوا موقف الدفاع السلبي أولا فدحضوا هذا الرأي معتمدين اسلوب " النقد من الداخل " أي بالاستناد الى اقوال الكاتب ذاته التي تدل على انه كان يقصد البدو ، الاعراب ولا يقصد العرب عامة وكان البرهان على ذلك سهلا لصراحة ما قاله ابن خلدون من أوصاف لا تنطبق الا على البدو ، فنشرت مقالات كثيرة في مجلات مختلفة تنحو هذا المنحى •

الا ان هذا الموقف الدفاعي لم يكن كافيا لمسألة أخطر من ذلك ولا بد من اتخاذ موقف آخر منها ، موقف الدفاع الهجومي أي مناقشتها من حيث الاساس واثبات خطئها • وكان أبرز متخذي هذا الموقف هو الدكتور ناجي معروف في كتابه : " عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الاعجمية " • والدكتور معروف هو استاذ الحضارة العربية في الدراسات العليا في جامعة بغداد ، وهو عضو المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق •

والجزء الاول من الكتاب مؤلف من خمسمائة صفحة وقد صدر عام ١٩٧٤ في سلسلة كتب التراث من منشورات وزارة الاعلام العراقية ، المقدمة ، المعنونة :" تبويب الكتاب " لقد جعلت الكتاب في مقدمة واربعة أبواب وخاتمة وقد أثبت في

الباب الاول منها أن حملة العلم في الملة الاسلامية جلهم من العرب وتكلمت على نظرية ابن خلدون التي انتحلها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون وفندت تلك النظرية تفنيدا علميا دقيقا ٠ وشرحت في الباب الثاني انتشار القبائل والاسر العربية في المشرق في اثناء الفتح وبعده ، حتى اليو وتكلمت على اسباب الانتساب الى البلدان الاعجمية وذكرت فيه اعتزاز العرب في الانتساب الى قبائلهم ومواطنيهم وانتساب الاعاجم الى البلدان فقط واعتزازهم بها ٠ كما ذكرت الظروف القاهرة التي يلجأ اليها الناس أحيانا في تغيير أنسابهم ، ولذلك حاولت أن أكرر نسبة العالم الى قبيلته العربية أنى ورد ذكره في المتون في أثناء دراسته على العلماء او في أثناء الدراسة عليه بغية تأكيد نسبه العربي وتعويد الاذان على سماع ذلك النسب

أما الباب الثالث فقد ذكرت فيه أصول البحث في عروبة العلماء وكيفية التوصل الى معرفتها عن طريق معرفة البيوتات العربية في المشرق الاسلامي وعن طريق الاحاطة ببطون القبائل العربية وافخاذها ٠

وفي الباب الرابع - وهو أوسع الابواب - ذكرت نماذج عديدة من العلماء العرب المنسوبين الى البلدان الاعجمية في المشرق وكلهم من العلماء العرب المحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين والرياضيين والاطباء والفلكيين والجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة الخ ٠٠

وكان يتبادر الى الاذهان انهم من الاعاجم وأنهم - بالتالي - ليسوا عربا ٠ أما العلماء العرب الذين ينتسبون الى مدن أعجمية في صقلية والاندلس فقد خصصت لهم جزءا مستقلا ٠ ولم أتطرق الى العلماء المنسوبين الى البلدان التي تقع اليوم في الوطن العربي لغلبة العروبة عليهم وقد تكلمت في تضاعيف الكتاب على أمور عدة اضافة الى التراجم فذكرت أثر العلماء العرب في المشرق الاسلامي والاحداث الكبرى التي أدت الى ضعف العرب في المشرق وغلبة الاعاجم عليهم ، وانهيار سيادة العرب والعربية فيه ٠

ولم أدخل في هذا الكتاب النساء العربيات المنسوبات الى البلدان الاعجمية او اللائي سكن فيها لأنني أفردت لهن جزءا خاصا بهن سميته " عروبة العالمات في البلدان الاعجمية " ٠

ذكرنا موقف الاجانب من هذه المقولة واستغلالها الى أبعد حدود الاستغلال وكل قصدهم أن يثبطوا عزائم العرب ويوجدوا في نفوسهم شعورا بالعجز أو الدونية ٠ لعل ذلك يقنعهم بالتخلي عن طموحاتهم ومخططاتهم ومحاولاتهم الوحدوية ٠

لم أقصد بهذا المقال ان أتحدث عن جميع جوانب الموضوع وانعكاساته الكثيرة ولكني اردت فقط أن أنبه الاجيال الطالعة الى الاخطار التي تواجه تفكيرهم وعملهم لكيلا يستسلموا الى الراحة ما دامت هناك زاوية من حياة أمتهم لم تعرض للهواء والشمس وما دام هنالك مطعن من المغرضين لم يفند ولم يبرهن على كذبه وفساده ٠

وقد تعرض الدكتور طه حسين للموضوع ذاته فنقلت عنه مجلة الموقف الادبي ، احدى دوريات اتحاد الكتاب العرب ، في دمشق بي العدد ١٨٩ تاريخ كانون الثاني يناير ١٩٨٧ قوله : ليس لنا أن ندخل في تفاصيل الاصلاحات التي استحدثتها حكومات الخلفاء الراشدين والامويين وبني العباس ٠ على أنه من المحقق أن العرب ، من بين جميع الامم التي قبضت على ناصية الحكم في الدول الاسلامية ، كانوا أقدر وأعدل من تولى حكمها وأمهر من عرف كيف يهيىء لشعوبها أسباب التقدم العقلي والمادي وليس لنا أن نقارن النتائج التي ترتبت على حكم الترك والعرب في بلاد المشرق حتى نقرر ان العرب ما فعلوا سوى ان شيدوا وعمروا وأن الترك ما فعلوا سوى ان أبادوا وخربوا ٠

ويعلل طه حسين وقوع ابن خلدون في هذا الخطأ بحادثة تاريخية دبرت في زمان ابن خلدون وفي بلده تونس هي حادثة التخريب الذي ارتكبه بنو هلال في تونس فاعتمد ابن خلدون هذه الحادثة في اقامة نظريته وتطبيقها على العرب

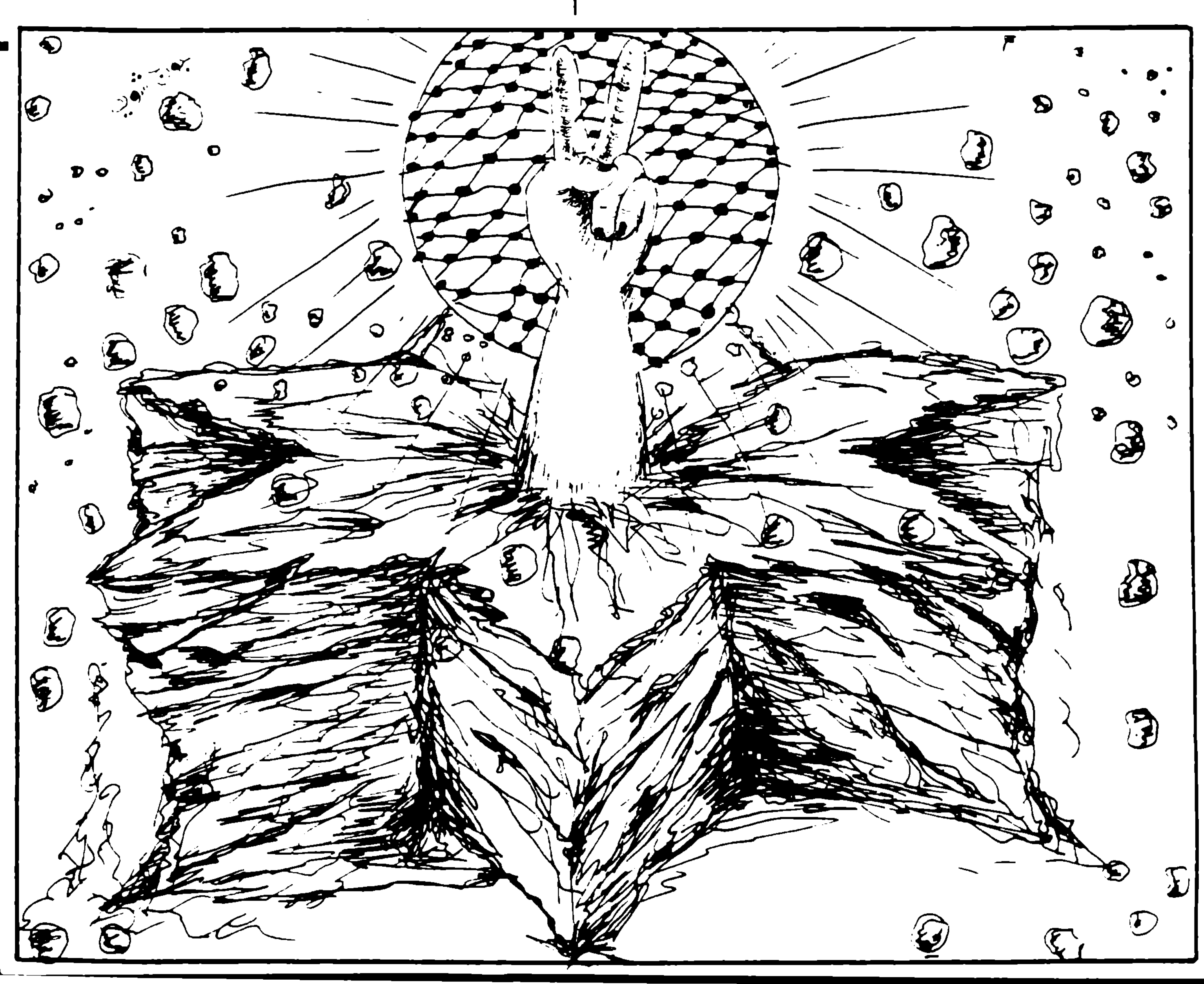
يقول طه حسين : ان الفاطميين حين استقروا في مصر بعد أن تركوا لهم عمالا في تونس تمرد هؤلاء العمال على الفاطميين واعلنوا استقلالهم عنهم وفي ذلك الوقت نزحت قبيلة بني هلال من الجزيرة العربية الى مصر فشجع الفاطميون هذه القبيلة على الرحيل الى تونس والاقامة فيها للانتقام لهم من المتمردين والتخلص منهم فأيدوهم بالمال والسلاح فانطلقوا نحو تونس فدمروا وخربوا - وهم بدو كما نعلم - وقد وقع ابن خلدون في خطأ فاحش اذ حكم على العرب هذا الحكم متأثرا بما شاهده

واذا كان ابن خلدون لم يفهم ان الحضارة التي تمتع بها هي من صنع العرب فلا ريب في ان المذهب الذي يدرس به التاريخ مذهب ضيق جدا

ولا أجد خاتمة لهذا المقال افضل من هذه الكلمة التي كتبها الدكتور ناجي معروف تحت عنوان " لو لم أكن عربيا " قال :

" لو لم أكن عربي الابوين لتمنيت ان اكون عربيا أن من يطلع على ما قام به العرب من خدمات للانسانية وللعلم والحضارة العالمية ليقف اجلالا لعلماء العرب في عصورهم الزاهية وامبرطوريتهم الواسعة .. ولو لم أكن عربي الابوين لتمنيت أن أكون عربيابالولاء وذلك لأن المسلمين قديما على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، قد انتسبوا الى قبائل عربية وأسر عربية ، واعلام من العرب ، رجالا ونساء واصبحوا منهم لا يختلفون عنهم في حق ولا واجب واعتزوا بالعرب وعلت مكانتهم بهم وبالاسلام.

ولو لم أكن عربيا نسبا او ولادة لتمنيت ان اكون عربيا بالثقافة وذلك لأن اللغة العربية والثقافة الاسلامية كونتا شعوبا واجيالا من الناس مازالت مخلصة للعرب تحبهم كانفسهم أو أكثر حبا لأن العربية هي لغة القرآن الكريم ، هي لغة الرسول ولغة أصحابه وهم من العرب وعروبة الثقافة كعروبة النسب ..



انتابه الهم والاكتئاب لهذا الامر فهذا معناه أن ابناءه سيقحمون أنوفهم في شؤونه وهو لا يريد ذلك ، فهم لا يحبون له الخير والسعادة ولا ريب، وهاهي ابنته وقد جن جنونها عندما رأت بعض ثياب والدتها وقد أكلته الفئران فأخذت تدير وجهها في أرجاء المنزل وهي تضرب كفا بكف ولو أمكنها لصرخت به وأنبته لكنها لا تجرؤ فقد وضع لها ولسواها حدا تقف عنده .

لقد أمضى مع أمهم أربعين عاما وهذا عمر طويل جعل الملل يتسرب الى حياته .. صحيح أن زوجته تصغره عشرين عاما وأنها الزوجة الثانية بالنسبة له لكنه كان يضارعها في الشباب وهي منذ بلغت الاربعين أصبحت امرأة لا تطاق ، جيد انه احتملها كل سنين كهولتها .

آه .. نظر إلى أبنائه وهم يديرون في البيت وجوها غاضبة ، ماذا يفعل ؟ .. عليه أن يحتملهم حتى يخلصون من هذه الحشرات ، في النهاية قر قرارهم على احضار بعض سم الفئران ، اما الحشرات الاخرى فيلزمها نوع جيد من المسحوق القاتل . وقد مضى الان عدة أيام على وضع السم وها ان الحشرات تموت بالعشرات حيث أخذت ابنته وأشقائها في أعمال التنظيف وقذف كل ما لايحتاجه الى القمامة دون ان يجرؤ على الكلام او الاعتراض .

أخيرا ذهب الجميع وها هو والحمد لله بقي وحيدا يجول في المنزل بملابسه الداخلية فالدنيا صيف والحر لايطاق .

سمع قرعا على الباب ، ذهب اليه وفتحه ببطء فرأى وجه قريب له يطل عليه فرحب به ترحيبا حارا ثم سبقه الى الداخل وأجلسه في صدر المكان ، قال الضيف :

- أخبرتني زوجتي بالأمس أنك أتيت لزيارتنا لكنك لم تبق حين لم تجدني فأتيت اليوم لأراك ، أرجوك لا تؤاخذني ياابن العم ، كان علي أن أزورك باستمرار ولكن أشغالي كثيرة كما تعرف .

كان الضيف رجلا ، جاوز الاربعين بدا محترما تبدو عليه الرزانة ، ورد العجوز :

- نعم ، ولكنني عاتب عليك ويحق لي أن أعتب على من يعتب الانسان إذا على الغرباء ؟

قدم هذا لضيفه سيجارة وقرب نحوه طاولة صغيرة وضعت عليها نفاضة سجائر ، فأخذ يدخن وينفث دخان سيجارته وهو يتأمل موجودات الحجرة .

خرج صاحب البيت قاصدا المطبخ ، أخرج عنقود عنب كبير من أحد الاكياس ووضعه في المغسلة وفتح فوقه صنبور الماء ثم قلبه فيها هكذا وهكذا وعاد وانتشله ووضعه في طبق واتى به الى ضيفه ثم اتخذ مجلسه على كنبة الى جواره فيما الاخر يهمهم :

- ماكان عليك أن تتعب نفسك .

ربت المضيف على فخده قائلا :

- تعبك راحة يا رجل .

صمت قليلا ثم قال :

- تعلم يا ابن العم أنه قد أوشك مرور عام كامل على وفاة ام الاولاد .

ردد الاخر وهو يرقبه :

- أطال الله في عمرك .

- وتعلم أن رجلا مثلي يحتاج الى امرأة تخدمه .

أغضى الضيف بنظراته إلى الارض وهو يفكر ، رجل في الثمانين ويريد امرأة الآن ، فلنتابع ما يريد .

قال الرجل وهو يدعوه لتناول المزيد من العنب :

- فكرت طويلا وأنا أتلفت حولي فلانة أرملة ولديها أولاد ، وفلانة مطلقة ولديها أولاد ، وأنا كما تعرف لم يعد لي قدرة على تحمل بكاء هذا وعناد ذاك .. لذلك لم أجد انسب لي من شقيقتك حنيفة ، وأعتقد أنها قد انتهت من وجع القلب الذي تفني عمرها فيه .

كان ابن عمه يزمن على كلامه بأن يهز رأسه وهو يتحدث ، وعندما وصل الى ذكر

شقيقته فوجيء .. كاد يضحك ويضحك ويضحك حتى يستلقي على قفاه ، لكنه فعل المستحيل حتى يتماسك ، فشقيقته هذه قد انهت في الشتاء الماضي دراستها في معهد الرياضة ، وهي الصغرى بين شقيقاته وأشقائه ، وقد مات والديها وهم يوصونه بها وبأخواتها والان يأتي هذا العجوز ويطلبها للزواج .

فكر في الامر وان يأخذ الرجل على قدر عقله ، فأجابه :

- انا من ناحيتي يا ابن العم أتمنى ذلك ولكن تعرف في هذا الوقت الكلام للفتاة .

ناوله العجوز سيجارة وهو يقول :

- نحن لدينا فتيات تقول نعم ولا .. ان القول والفعل بيدك وحدك ، هكذا أريدك رجلا ..

صمت لحظة ثم تابع :

- لدي عشرين ألف ليرة سأعطيهم لها عدا ونقدا .

هز الضيف رأسه مداريا مابه ثم لم ير بدا من الاستئذان والذهاب ، لكن قريبه اقسم عليه أن يشرب الشاي فجلس على مضض ، فيما ذهب الاخر الى المطبخ حيث حضر الاقداح ووضع بها السكر بينما كان يغلي الشاي على النار ثم صبه وحمل الصينية بين يديه ، عاود وفكر أن يأخذ الابريق بكامله ، فأعاد اليه الشاي المصبوب وأعاده على النار من جديد ، حيث وضع فيه السكر ثم أطفأ الغاز وقد أصبح الشاي أسودا غامقا لا يمكن شربه وسار في اتجاه حجرة الضيف .

كان ذهنه مشغولا بحديث الزواج والخطبة فيما كان يقطع العتبة الى الداخل ، خيل إليه أنه رأى فارا راكضا باتجاهه وأنه سوف يمر فوق قدمه ، ارتبك في سيره وارتبكت حركته فسقط الابريق بما فيه فوق ساقيه العاريتين ، هذا في لحظة واحدة .

هب ابن عمه لإنقاذه وهو في غاية الدهشة والاسف ، أمسكه من يده يريد أن يأخذه الى الحمام لغسل ساقه لازالة اثار السكر ان وجد ولتبريد الحروق لكن العجوز رفض وهو يكابد الامه قال :

- لا ، لا .. لا يجوز ذلك ..

- ماذا ستفعل إذا .

- سأدهن بعض المكركروم

- لكني أعتقد أن هذا يسهم الحرق إذا كان على مساحات كبيرة .

- لا عليك وليحدث ما يحدث .

وقف الضيف حائرا ، أشار له ابن عمه الى مكان الصيدلية الصغيرة في المنزل . أسرع الرجل وأحضر الزجاجة وكيس قطن ، لا بد أنه لا يزال منذ ايام زوجته ، أخذ يدهن مكان الحرق لقريبه . ثم جلس بقربه يسأله اذا كان يشعر بتحسن ام لا .. لم يرد عليه الاخر وبدا أنه يداوي الامه .

- هل آخذك الى الطبيب .

هز الرجل راسه بالنفي ، فكر الاخر ماذا يمكنني أن أفعل من اجله ، قر رأيه في النهاية أن يتصل بأبنائه .

- هل آخذك لفراشك ؟

هز الاخر رأسه بالنفي مرة أخرى .

لا هنا أفضل ..

- أنا ذاهب .. سأتصل بأحد أولادك .

لم يرد العجوز .. غادر الرجل البيت ، كان الليل قد خيم . أحس هذا بالاسف من أجل قريبه ، فجأة تذكر أنه خطب شقيقته الصغرى فأخذ يضحك ويضحك حتى غيبته الظلمة ..

مها سليمان

بلاغ رقم ١

شعر ابتسام الصمادي



عيناي ٠٠ مسافرة أبدا
مزهرة كل ٠٠ مسافاتي
ففصول غرامك صهرتني
وبذلك نطقت مرآتي
فادخل فردوسي يا قمري
وسعم بين الراحات
واقطف ما شئت هوى ومنى
أوراقي ٠٠ زهري ٠٠ ثمراتي
واعصر كرمي ٠٠ واشرب خمري
لأمارس أحلى الرقصات
فأنا شاعرة عاشقة
تعرفها كل " الآهات "
" عندي للحب تعابير "
ما مرت في بال دواة "

وأعري عن كتفي مدني
وأعيش طقوس الغابات
وأتوج أنثى مملكة
فيها بصمات حضاراتي
يا أنت ٠٠ الدنيا عرش هوى
وأنا من أحلى الملكات
فارتح ما شئت بأفيائي
وامرح ماشئت ٠٠ بجناتي
طر بي لعوالم ساحرة
يا حبي الحاضر ٠٠ والآتي
ما أحلى العشق وموسمه
والضم ٠٠ وسرب القبلات
إعلان غرامك ٠٠ للدنيا
نقلته كل الشاشات

المقالة الذاتية عند الدكتورة سعاد الصباح

بقلم : سمر روحي الفيصل

هناك تناقض واضح بين كتابة المقالة الذاتية والتنظير لها . فالصحف والمجلات العربية مملوءة بالمقالات . بل إن هذه المقالات تعد العمود الفقري لهذه الصحف والمجلات ، وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات الأدبية والنقدية التي تقنن المقالة وتحلل اساليبها وطرائقها في المعالجة نادرة جدا ، مما سمح لهذا الجنس الكتابي بالنمو من غير خلفية نظرية تضبط إيقاعه وتوجه خطواته . وضمن هذه الندرة في الدراسات لا بد من أن نلاحظ شيئا ذا بال ، هو الاهتمام بموضوعات المقالة العربية ، وضعف الاتجاه الى طبيعتها الفنية ، حتى إن التقسيم الذي طرحه الدكتور محمديوسف نجم ، في كتابه الرائد " فن المقالة " يكاد يكون وحيدا في أية إشارة الى فن المقالة ، ذلك أنه - كما هو معروف - قسم المقالة قسمين : الاول هو المقالة الذاتية والثاني هو المقالة الموضوعية ، ثم راح يعرض خصائص كل منهما وألوانه وأشهر كتابه ، وإذ قصرنا حديثنا على المقالة الذاتية لاحظنا اهتمام الدكتور نجم ببروز شخصية الكاتب فيها . واستئثاره بلب القارىء ، وعنايته بالاسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال ويهتم بالخيال والبيان والموسيقى . من غير قيد في الاسلوب وطريقة العرض .

ويخيل إلي أن المعيار الأساسي للمقالة الذاتية هو التعبير عن وجهة نظر خاصة وليست الاسلوب الأدبي الذي يرتكز الى الخيال والبيان . ذلك أن الأسلوب الأدبي يصلح للتمييز بين المقالة الأدبية والسياسية ، ولكنه لا يشمل المقالة الاقتصادية والعسكرية والفكرية والتاريخية وغير ذلك مما يحمل وجهة نظر في الحياة ، بل إنني أعتقد أن الاسلوب الأدبي بالمعنى الدقيق انتقل من الغاية الى الوسيلة ، وأن الاديب في الوقت الراهن لا يقلد رسائل أحمد أمين ومصطفى صادق الرافعي بما فيها من سمو وبلاغة ، وإنما

يسعى الى التعبير عن أفكاره بأسلوب يقبله القارىء العجل الى اقتناص الفكرة والرأي ، وهذا الاسلوب هو أسلوب المقالة الصحفية وان لم تكن يومية سياسية ٠

وقد قرأت ، بأخرة ، كتابا يصلح لأن يكون نموذجا للمقالة الذاتية ، عنوان هذا الكتاب " هل تسمحون لي أن أحب وطني" ٠ أما صاحبته فهي الشاعرة المعروفة الدكتورة سعاد الصباح ، ولا يحتاج القارىء الى إنعام النظر في المقالات الخمس والعشرين التي ضمها الكتاب ليكتشف إمكانية تصنيفه ضمن المقالة الوطنية من حيث الموضوع ، وضمن المقالة الذاتية من حيث النوع ، ولكن هذا القارىء يتساءل عما إذا كان الاسلوب الأدبي معيارا لمقالات الكتاب ٠ والظن أن هذا السؤال ينطلق من أن المقالة الذاتية وريثة المقالة الادبية ، في حين أعتقد أن مقالات الكتاب وريثة المقالة الصحفية ونموذج لها ، ولا تتضمن هذه الاجابة أي توهين للاسلوب المتماسك الذي يلاحظه القارىء في المقالات المذكورة ، وإنما تتضمن تغييرا مقبولا في المعيار ٠ فقد كتبت هذه المقالات خلال سبعة أشهر ، ونشرت في الصحف العربية التي تصدر في لندن ، ولم يكن الهدف من كتابة المقالات التعبير عن موضوع أدبي وإنما كان الهدف التعبير عن وطن سليب لم تصدق الكاتبة ماقيل عن مسوغات سلبه ، وراحت تجهد في نقض الاسباب المعلنة وفي اعلان انتمائها لوطنها وإيمانها بعودته الى أصحابه ٠

إن وجهة نظر الدكتورة سعاد الصباح في احتلال الكويت هي الناظم لمقالات الكتاب كلها ٠ فقد جندت قلمها للدفاع عن وطنها ، وشرعت تتحدث عن الابعاد الوطنية والعربية والدولية من غير أن تتخلى عن حشد مايدعم وجهة نظرها ، أو تخفي تعبيرها عن لسان حالها وحال مواطنيها ٠ ولو دققنا في أسلوب التعبير لديها للاحظنا تلك الغزارة في ضمائر المتكلم وفي اسماء الاستفهام ٠ وربما كان تعليل ذلك سهلا ، لأن المقالات كلها استندت الى خطاب سعاد الصباح للعالم بصيغة الباحث عن مسوغ مقنع للاحتلال ٠٠ ففي صفحة واحدة (هي ص ١٢٦) ورد استفهامات (هل - كيف) ، وتكرر استعمال ضمائر المتكلم سبع مرات (لا تؤاخذوني - وصفت - اولادنا - إنني - كلامي - انني - كفرت) ٠ ومن المفيد ان نلاحظ أن الاستفهام المستعمل في هذه الصفحة ليس حقيقيا وإنما هو استفهام تقريري لا يطلب صاحبه إجابة يجهلها وإنما يقرر إجابة يعرفها ويؤمن بها ٠ تقول سعاد الصباح : " هل هذه هي الكتب الايديولوجية التي سنطلب من اولادنا ان يقرؤوها ؟) ٠٠ ليست هناك إجابة لأن السؤال يقرر الاجابة بالنفي، كما أشار في الوقت نفسه الى المرجع (اولادنا) ٠ ولا شك في ان استناد مقالات الكتاب الى ضمائر المتكلم وأسماء الاستفهام اسلوبيا هو الايقاع الذي يحكم خطاب الصباح للعالم ٠ أو فلنقل إنها تقول للعالم : أنا أرى الأمر على هذا النحو فهل تراه على نحو آخر ؟ وفي ذلك دعوة ضمنية لمشاركتها الرأي والانحياز الى وجهة نظرها ٠٠ وكأن الأسلوب قوة إقناع في الخطاب ٠

إن أسلوب سعاد الصباح أسلوب الذات المكلومة ، وعبارة " الذات المكلومة " هنا ليست تعبيرا بلاغيا اصطنع المجاز ، ولكنها بؤرة الاسلوب في مقالات الكتاب الذاتية ٠٠ وقد تجلى هذا الامر في توتر اللغة وترجمها بين الغضب والسخط والهدوء والاقدام والاحجام ٠٠ فمرة يبدو الخطاب أقرب الى الانفعال وأخرى أقرب الى المنطق ، يوغل حينا في اللوم والتقريع والاهانة ، ويتشبث أحيانا بالاقناع والمحاكمة العقلية والربط والاستنتاج ويصعب على الباحث في النظرة الكلية العثور على مستوى أسلوب واحد يصح تعميمه على مقالات الكتاب ٠ وليس لدي تعليل لذلك غير صدور الاسلوب عن ذات انهارت أفكارها القومية السابقة،

وتصدعت احلامها ، وشعرت بنفسها عارية الا من مراجعة الذات والافكار والاحلام ٠ وقد عبر الاسلوب عن هذه الذات الغاضبة الهادئة المندفعة المنطقية الباحثة في الوقت نفسه ، فبدا أسلوبا ذا مستويات عدة ، تقصر الجمل فيه إذا كان المستوى تعبيرا عن انفعال السخط ، وتطول إذا سيطر العقل على الانفعال واتجه الخطاب الى الجامعيين والصحفيين والمحامين والطلبة ٠ أو قل - انصياعا للتعريف التقليدي للبلاغة - إن هناك مراعاة لمقتضى الحال ٠ فالمقالات التي اتجه الخطاب فيها الى الجامعيين والصحفيين والمحامين والطلبة هي - في اساسها - كلمات ألقيت في مؤتمرات ، ومن ضرورات " سياق الحال - كما ينص علم اللغة- أن يؤثر جمهور المؤتمر في الموقف الكلامي فيجعل الاسلوب ميالا الى الهدوء والاقناع والتأثير والبعد عن السخط والحماسة ٠ فإذا انتقلنا الى المقالات الاخرى التي كتبت للصحف أساسا رأينا الاسلوب يتأجج ويميل الى الغضب فتبدو جملة قصيرة مناقضة للطول الذي يسم جمل المقالات التي ألقيت في المؤتمرات ثم نشرت في الصحف ٠

ذات سعاد الصباح في مقالات " هل تسمحون لي أن أحب وطني " مكلومة ، ولا يداوي جرح النفس غير إعادة التوازن اليها ، فليتوتر الاسلوب غضبا وهدوءا ، ففي الغضب والهدوء سعي الى هذا التوازن وإفراغ للتوتر الداخلي ، وذلك - من الجانب التنظيري - تعبير عن بروز شخصية سعاد الصباح في مقالاتها الذاتية المعبرة عن وجهة نظرها ٠

وبعد ، فهل نستطيع التمييز بين المقالات الذاتية استنادا الى معيار وجهة النظر ؟ وهل نحن قادرون على التمييز بين مستويات الاسلوب لتحديد هذا المعيار والدلالة على وضوحه وغموضه؟ مهما تكن الاجابة فإن المقالة الذاتية جنس كتابي يحتاج الى وقفة أخرى ٠

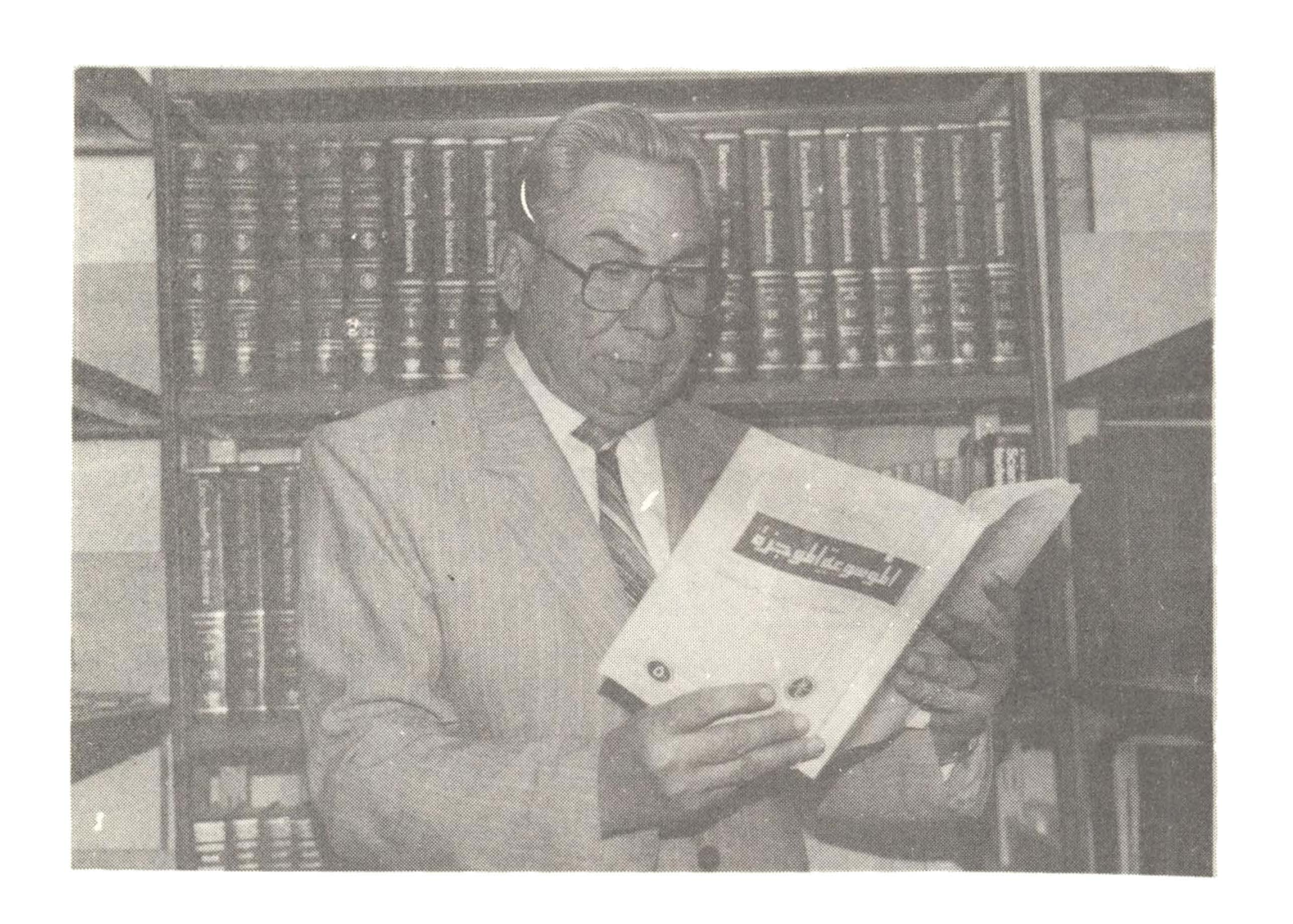
سمر روحي الفيصل



مع الكاتب والأديب الموسوعي المؤرخ

حسان بدر الدين الكاتب

حوار : محمد محمد بدوي وهبة



لعل أجمل ما يثلج الصدر ان ترى مبدعا خلاقا ، يغذي بلده بالفريد من نتاج وعصارة فكره ، ولا شيء أعظم من أن يقدم الكاتب ما لديه من أعمال للناشئة والأجيال ، حتى يهتدوا الطريق ويسلكوا أفضل السبل ٠

اليوم الثقافة على موعد مع هؤلاء المبدعين الذين وهبوا وطنهم كل مالديهم ، فأصبحوا علما من أعلامه ، ومحط إعجاب الناس بهم ، إن كاتب كبير ، وموسوعي عظيم ، شهد بعمله النافع كل قريب وبعيد ٠٠ هل عرفتم من هو ؟ أجل إنه صاحب الموسوعة الموجزة ومعجم المؤلفين العرب المعاصرين الاستاذ الكاتب : حسان بدر الدين الكاتب ، عضو اتحادي الكتاب والصحفيين ومن قدم للأجيال الكثير الكثير ، فلنتابع معا هذا الحوار ٠

محمد محمد بدوي وهبة

• هل لكم أن تقدموا للقراء الكرام في مجلة الثقافة لمحة موجزة عن حياتكم الادبية ٠

•• قبل كل شيء لا بد أن أذكر أنني أحد قراء مجلة الثقافة الشهرية والاسبوعية منذ الخمسينات وكنت من المقدرين لها ولمؤسسها الاستاذ الكبير والشاعر الملهم الاستاذ مدحة عكاش حفظه الله وأبقاه ذخرا للأدب والادباء٠٠ ومن ثم اصبحت من كتابها منذ عام ١٩٧١ بعد أن أصدرت موسوعتي الموجزة في ١١-٣-١٩٧١ ٠٠ وهكذا تجدون أنني نشأت في مجلة الثقافة قارئا ومن ثم كاتبا ٠٠ كما نشأت في مجلات الضاد الحلبية لصاحبها الصديق الغالي الاستاذ الكبير والشاعر الملهم الاستاذ عبد الله يوركي حلاق مد الله في حياته والذي كتب عني كتابات أعتز بها ماحييت في مجلته الغراء " الضاد " الحلبية وكانت حافزا ومشجعا لي ، وكذلك مجلة الاديب البيروتية لصاحبها الاديب والشاعر الملهم الاستاذ ألبير أديب رحمه الله ٠٠ وكذلك مجلة اليقظة الحلبية التي يراس تحريرها الاستاذ الكبير ميشيل سلطان مد الله في حياته فقد كتب عني أيضا كتابات أعتز فيها ما حييت ٠

واخيرا كذلك مجلة التمدن الاسلامي التي كان يرأس تحريرها الاديب والشاعر الملهم الوزير الراحل الاستاذ احمد مظهر العظمة رحمه الله ٠ وما زلت أذكر الابيات التي أهداني إياها بمناسبة عيد الفطر السعيد عام ١٩٧٠ م حيث قال فيها:

حسان دمت موفقا مسرورا
وربـاك تحكـي جنـة وحـريـرا
ألفت من كتب المعاني زمـرة
وناهت على زهر الربيع عطورا
فاهنأ بعيدك بعد جد دائب
تملي على القلم الخصيب سطورا

٠

أما فيما يتعلق بتقديم نبذة عني فأنني أذكر ما كتبه الاديب الراحل نسيب النشاوي رحمه الله في الصفحة ٢٠٦ من سفره الضخم " مدخل الى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر الصادر في دمشق في ايلول عام ١٩٨٠ :

" حسان بدر الدين الكاتب أديب سوري ولد بدمشق عام ١٩٣٥ حيث كان والده القاضي المعروف الاستاذ بدر الدين الكاتب ، الذي تنقل معه بين المدن السورية وعاد الى دمشق عام ١٩٤٧ حيث استقرت الاسرة فيها في حي الحبوبي الثاني المجاور لحي ابي رمانة ٠٠ وكان المترجم الاستاذ حسان قد ولد في هذا البيت لأنه بيت الاسرة ٠ انتسب الى دار المعلمين وكلية التربية في جامعة دمشق ١٩٥٤-١٩٦٠ ومارس التعليم والتدريس وتأثر بوالده واهتم بالمطالعة في مكتبة والده في كتب الثقافة ٠

بدأ نشر مقالاته عام ١٩٧٠ وألف كتبا كثيرة من ابرزها الموسوعة الموجزة وهي في المعارف الانسانية وأثناء ذلك كان يعمل في وزارة التربية مديرا للمكتب الصحفي لوزير التربية فيها عام ١٩٧٩ وهو عضو في مركز الابحاث التاريخية بدمشق منذ ١٩٧٤ م وعضو شرف في نادي جدة الادبي منذ عام ١٩٧٧ وعضو اتحاد الصحفيين ثم عضو اتحاد الكتاب العرب ٠

له مؤلفات كثيرة متنوعة في ميدان الفكر والنقد والاجتماع والتاريخ ٠ ومقالات أدبية رفيعة تتعلق بالحركة الادبية المعاصرة ٠ أهدى مؤلفاته المخطوطة الى المكتبة الظاهرية بدمشق والني جاء تعريف بعضها في - فهرس المخطوطات التاريخية - الذي أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق للاستاذ خالد الريان عام ١٩٧٣) المخطوط في مكتبة الاسد حاليا (وقد نقلت المخطوطات بعد ذلك الى مكتبة الاسد ٠٠ وهي محفوظة في هذا الصرح الثقافي الضخم منذ عام ١٩٨٠) ونشر بنفقته الخاصة " الموسوعة الموجزة " التي تقع في ٢٨ جزءا كل جزء منها لحرف من حروف

الهجاء وهي مرتبة ترتيبا هجائيا بحسب الالف باء .

* هل لكم أن تحدثونا عن " الموسوعة الموجزة " التي ما زلتم تصدرونها في دمشق منذ نحو ربع قرن ؟

** للاجابة على هذا السؤال أقول لكم إن الكوسوعة الموجزة هي دائرة معارف أعددتها لفترة (١٠) سنوات قبل اصدارها في ١١-٣-١٩٧١ وهي تؤرخ للعالم أجمع قديمه وحديثه حتى فترة اصدار الجزء من أجزائها باعتبارها تصدر منجمة اي على فترات ومبوبة بحسب الحروف الهجائية كل جزء منها لحرف من حروف الهجاء وهي تتحدث عن الادب والفن والعلم والتأريخ والاجتماع والمدن والقارات والمواقع والانهار والاقتصاد والتربية والطب والهندسة والصحة والتشريح والامراض كما انها تتحدث عن اشهر رجالات العلم منذ عهد ادم عليه السلام وحتى يومنا هذا .. لذلك فقد امتدت شهرتها شرقا وغربا وكتبت عنها الاقلام في الصحف والمجلات والمصادر العربية والاجنبية التي نيفت عن مائتي مصدر ومرجع في جميع أنحاء العالم في قارات اسيا واوربا وامريكا وافريقيا .

لذا فقد عدت احدى المراجع الهامة في العالم العربي وأذكر من المراجع التي اعتمدت عليها على سبيل المثال لا الحصر : " الاعلام لخير الدين الزركلي في طبعته الحديثة التي صدرت في ٨ مجلدات ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة في طبعته التي صدرت مؤخرا ايضا . . ومعجم العلماء العرب لباقر امين الورد الذي صدر في بغداد في مجلديه الاول والثاني عام ١٩٨٦ وغير هذه المراجع الكثير .

اما عن أثر الموسوعة الموجزة : فقد كتب عن ذلك المرحوم الدكتور نسيب نشاوي رحمه الله في ملحق الافق الثقافي الذي تصدره صحيفة النصر الجزائرية الصادر في ٢٢ ابريل ١٩٨٤ تحت عنوان " الموسوعة الموجزة وأبعادها الثقافية المعاصرة " في فقرة عنوانها : " حسان الكاتب باحث وفنان حيث يقول : اسمح لنفسي بأن أقول ان الاستاذ حسان الكاتب باحث وفنان وهو فوق هذا كله أديب معروف بمقالاته النقدية والتحليلية عن الادب العربي المعاصر والمهجري ، فهو باحث لأنه أوتي من التفتح والانطلاق الى رحاب المعرفة الانسانية الشيء الكثير ، فقد اطلع على جوانب الحضارة العربية الاسلامية القديمة والمعاصرة وتهيأ للدخول في شروع التأليف منذ المرحلة الاولى من حياته حيث تفتحت اهتماماته للثقافة منذ وعي مكتبة والده الذي كان يعمل قاضيا ، وكان في صباه يتمتع كثير بتقليب هذه الكتب ، ويقرأ في مؤلفات القدامى والمحدثين ، ويعجب كثيرا بالقواميس ولا سيما المصورة منها التي تشرح المعلومات المكثفة الى جانب الصور، وفي المرحلة الثانية اقتنى أمهات الكتب واتصل بأرباب الثقافة والعلم وكان فنانا في انتقاء المعلومات والكتب التي تغيبه في موضوع اختصاصه الموسوعي وهو أديب عاش وسط الحركة الادبية المعاصرة وتفهمها وعقد الصداقات العميقة مع المؤلفين والباحثين في الوطن العربي والمهجر والبلدان الاخرى ، وقد شارك في مجالات ثقافية عديدة أدبية وتاريخية وفكرية وصحافية .

وظهرت في حياته روافد ثقافية غير مباشرة ، فرحلاته الواسعة التي فرضتها عليه حياة اسرته بسبب انتقال وظيفة والده الى المحافظات السورية بحكم عمله في القضاء وتنقلاته الخاصة التي فرضتها ظروف العمل والحياة في أثناء قيامه بوظيفته بوزارة التربية داخل سورية وخارجها .. أغنت فكره وقلبه بمادة ثرية جناها في أوقات الفراغ وأيام البعد عن الاول .. فلم يكن يكف عن المطالعة والبحث والتدوين فخلال ذلك وضع دائرة معارف المكتب في ٤ مجلدات مما هيأ له الاطلاع على الاف المصادر جعلته فيما بعد مؤلفاته

ويكتب دراساته التي نشرها في مجلات سورية والوطن العربي (والتي نيفت عن الالف)
ويكفي ان نذكر هذا البيت الذي قاله الشاعر المهجري الكبير الراحل الاستاذ جورج صيدح في قصيدته التي وجهها للاديب الاستاذ الكاتب ليبين مدى مكانته الادبية الرفيعة على مستوى شعراء المهجر الكبار :

حسان مدح رسول الله شرفه
والآن شرفني مدحي لحسان

ولا يخفى علينا بأن " حسان الاولى " هي حسان ابن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وحسان الثانية هو حسان بدر الدين الكاتب ، ولما لهذه القصيدة من أهمية بالغة أثبتها في كتابي " مدخل الى دراسة المدارس الادبية " وكان مطلع هذه القصيدة :

يا كاتب الخير إني قارىء عان
أوشكت أقرأ وجه العالم الثاني

إذ كان عمر الاستاذ صيدح عندما نظم هذه القصيدة نحو ٨٠ سنة اي قبل رحيله بقليل ٠

• بهذه المناسبة ماهي آخر قصيدة نظمت بالموسوعة الموجزة ولم تنشر بعد ؟

•• اشكرك على هذا السؤال فإن فيه طرافة وجدة ٠٠ فبالفعل كان لدي قصيدة اعتز بها واضن على نشرها الا بالموسوعة الموجزة في حرف الميم الذي سيصدر قريبا وما دمت قد سألتني عن ذلك فإن مكرمتك عندي وتقديري لمجلتي الحبيبة الثقافة الشهرية ، والثقافة الاسبوعية ، للأديب الكبير وللشاعر الملهم الحائز على جائزة جبران الادبية الاستاذ مدحة عكاش ٠٠ تجعلاني أذكر لك هذه القصيدة وأعتز بنشرها في هذا المجال لأنها لعلامة كبير ولشاعر ملهم ألا وهو الاستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور رئيس المجمع العلمي العالي للعلوم الاسلامية والعربية العالية حيث يقول :

قم في الندى وحي اليوم حسانا
ورتل الشكر أنغاما وألحانا

هذا العطاء عطاء لا يطاوله
جهد الجهابذ أكفاء وأعوانا

لو يكتب المجد في تقريظ معلمة
من نسجكم كان ذاك المجد عنوانا

كتبت للناس سفرا خالدا أبدا
وطدت للعرب والاسلام بنيانا

اقمت للعلم صرحا شامخا علما
وللمعارف أساسا وأركانا

حسان يا سيدا طابت مآثره
حلقت في افق التاريخ عرفانا

أعتز أن يراعا من دمشق غدا
يخط للعرب سفر المجد مزدانا

أعتز أن أخا شهما له قدم
في المكرمات أتى بالعلم ألوانا

هذي قواف من الاشعار عابقة
بالند تحكي أزاهيرا وريحانا

وروضة من رياض الحب معشبة
تألقت في الرياض الغن بستانا

وانت صاحبها بل رب عذرتها
فامدد يمينك كي تحظى بها الانا

٠

وقد نظمت هذه القصيدة في ٢٩-٤ اي في شهر نيسان ابريل ١٩٨٨ فكانت بمثابة هدية رائعة الجمال والروعة بمناسبة عيد ميلادي الذي يصادف في التاسع والعشرين من شهر نيسان من عام ١٩٢٥ في حي الجنوبي الثاني الذي يجاور حي ابي رمانة بدمشق وهو منزل الاسرة قبل ان تنتقل للاقامة في حي عين الكرش ٠

• ما هي المخطوطات التي أودعتموها في مكتبة الاسد بدمشق ؟

•• لقد نيفت مؤلفاتي المخطوطة المودعة في مكتبة الاسد بدمشق عن الثلاثين يتراوح عدد صفحاتها

بين ٥٠٠ صفحة والالف ومائتي صفحة من القطع الكبير والموسوعي الكبير والموسوعي الكبير ولا يوجد من هذه المخطوطات في فهرس المخطوطات التاريخية الذي أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٣ للاستاذ خالد الريان وفهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية الذي أصدره مؤخرا مجمع اللغة العربية بدمشق .

وأذكر من هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر :

١- موسوعة المختارات من العالم ، وتقع في مائة مجلد تتراوح عدد صفحاتها بين الالف والالف وخمسمائة صفحة اودعت المجلدات الخمسة الاولى منها بمكتبة الاسد .

٢- مذكراتي التي تقع في عدة مجلدات تحت عنوان " أيام حسان الكاتب " وقد اودعت منها المجلد الاول والثاني ويقع كل منهما في الف صفحة من القطع الموسوعي الكبير .

٣- نظرات في آداب العالم ويقع في نحو الف صفحة وقد ارخت فيه لجميع آداب العالم .

٤- نظرات في التاريخ العربي وفلسفة التاريخ في نحو الخمسمائة صفحة من القطع الكبير .

٥- خواطر في الادب والفن في نحو الالف صفحة

٦- قصص سورية ، أرخت فيه للقصة السورية

٧- معالم الوطن العربي ، تحدثت فيه عن الوطن العربي من النواحي التاريخية والجغرافية والاقتصادية .

٨- جمال عبد الناصر في مجلدين في نحو ألف صفحة

٩- النشاط الدولي - ويؤرخ للسياسة في العالم .

١٠- اتحاد الجمهوريات العربية - أرخت فيه لمرحلة لمراحل الاتحاد في الوطن العربي .

١١- دراسات موضوعية فلسطينية ويقع في نحو خمسمائة صفحة

١٢- الاسلام تحـ ... ـه عن معالم الدين الاسلامي في نحو الخمسـ ... ـة

١٣- دائرة معارف المكتب في ٤ مجلدات كل منها يقع في نحو ٤٠٠ صفحة

١٤- كتاب أمين ودوره في التربية

وأخيرا فقد اصدرت الموسوعة الموجزة في ٢٨ جزءا في دمشق منذ تاريخ ١١-٣-١٩٧١ ولي ٧٠ حوارية اذاعية نشرت في الوطن العربي ووزعت بشكل كاسيتات ونشرت نحو الف مقال في الوطن العربي

واخيرا لا بد لي ان اذكر بعضا من المراجع التي كتبت عني والموجودة في مكتبة الاسد الوطنية وهي :

١- الصحافة العربية المعاصرة وآفاقها الثقافية للاستاذ ياسر الفهد .

٢- حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام للدكتورة نشأة ظبيان .

٣- عناقيد ثقافية للاستاذ محمود الارناؤوط

٤- تطور العمل الموسوعي العربي للانسة زينب طه

٥- معجم كتاب سورية للاستاذ اديب عزت

٦- كتاب من هو في العالم العربي طبعة ١٩٧٤-١٩٧٥ باللغة الانكليزية .

٧- كتاب من هو في العالم - اصدار كمبردج باللغة الانكليزية .

٨- كتاب من هو في آسيا - نيودلهي - الهند باللغة الانكليزية .

٩- مدخل الى دراسة المدارس الادبية للدكتور نسيب نشاوي .

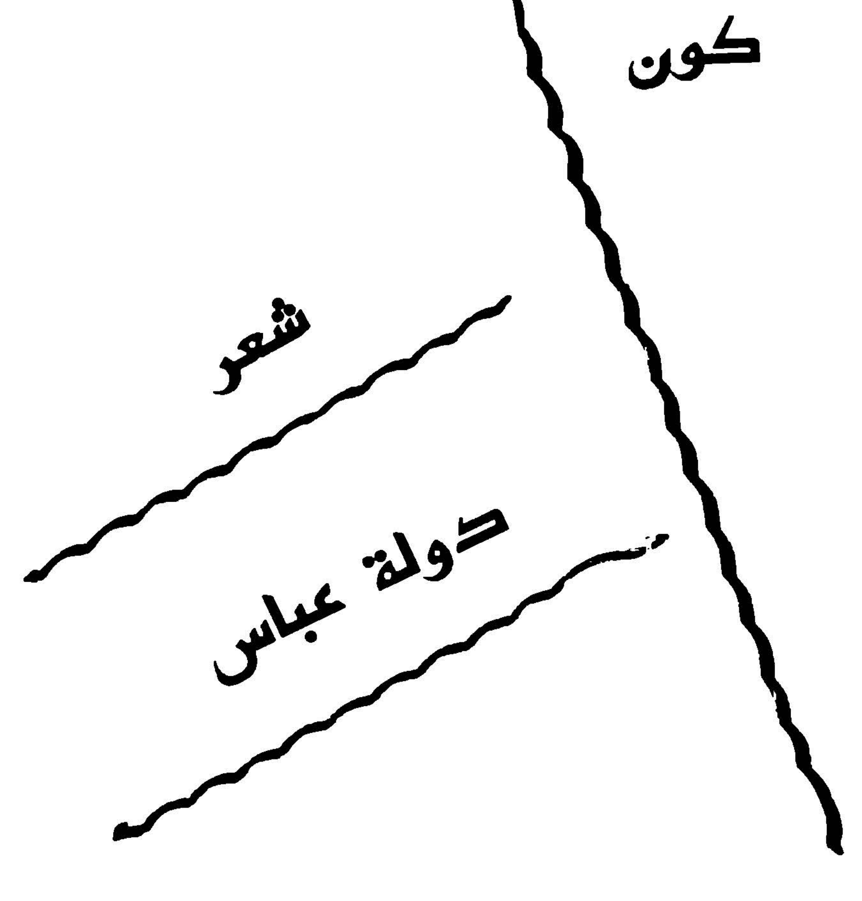
* في النهاية هل لكم ان تحدثونا عن عملكم الوظيفي الثقافي الاخير ؟

** في الحقيقة كانت خدماتي مذ بداية حياتي في وزارة العدل ثم في مدرسة المساحة ثم في وزارة التربية منذ عام ١٩٥٧ بعد ان درست في دار المعلمين وكلية التربية ، واخيرا بعد ان بلغت المرتبة الممتازة ووصلت السقف التقاعدي انتقلت

الى عملي الجديد الذي أعتز به وهو " نائب رئيس مجلس المجمع العلمي العالي للعلوم الاسلامية والعربية العالية ووكيل هذا المجمع " منذ شهر تموز عام ١٩٩٢ وذلك بعد ان قدمت استقالتي من وزارة التربية قبل بلوغي سن التقاعد بسنتين

حوار : محمد محمد بدوي وهبة





أبحث عن كلمات أحلى
من كلمات الوجد
أبحث عن أرواق أندى
من أوراق الورد
عن عطر آخر غير العطر
الساكن خدي
عن شمس لا تتركني
وحدي في البرد
عن كون أوسع أشمل
من دائرة الرصد
كي أكتب (شعري)
فلشعري (تقدير) عندي)

في رحاب الأدب السعودي

إعداد: تميم الحكيم

لقاء الفكر

لماذا يتنكر بعض الأبناء لتراث الآباء .. ؟؟

الملوحي : الشجرة لا عيش لها بلا جذور ..

كيلاني : أغلب من درس على يد المستشرقين مصادر ..

عكاش : ما يتعرض له التراث يهدف إلى تمزيق الأمة ..

باقازي : المتنكرون إما جهلاء .. أو يشعرون بالنقص ..

الدميد : الشباب منبهرون بالجديد .. ولكنهم سيستيقظون ..

من أغرب ماتشهده الساحة الثقافية في الوطن العربي تلك الحملات الشعواء ، التي يقوم بها بعض الابناء ، على فكر وتراث الاباء !!

وقد تجاوزت هذه الحملات ، مجرد الغمز والهمسات ، إلى تجنيد الصحف والمجلات ، لتكون عامل هدم لتراثنا وما فيه من ثروات ..

ولا شك أن مثل هذا العداء ، يقف وراءه ويغذيه أخبث الاعداء ، ومن هنا وجب علينا أن ننبه الى هذا الخطر حتى لا نقع في نشر البلاء ..

ولعله من المفيد ان يشاركنا في هذا الواجب البناء ، عدد من المفكرين الغيورين والادباء ..

لا تقطعوا الجذور :

ونبدأ برأي الاديب الاستاذ عبد المعين الملوحي ، وفيه يقول : (قرأت أخيرا مثلا من أمثال اليابان يقول " إذا أردت أن ترفع الأغصان فلا تقطع الجذور " .. وهذا القول ينطبق على كل من يريد أن يهاجم التراث العربي ، لأنه يريد أن يبقي الاغصان دون جذور .

وان كل الحركات التي تستهدف قطع جذورنا مع تراثنا وأمتنا حركات شعوبية ، ليس



د. راشد الراجح — محمد منصور الشقحاء

لها اسم غير هذا الاسم ..

نحن لا نعارض التجديد بل نحبذه ، ونريد أن يكون .. ولكن .. لماذا يهاجمون التراث العربي ، ويهاجمون اللغة العربية ، ويهاجمون كل مايتصل بالتاريخ العربي والاسلامي لماذا هذا العمل ؟ ولمصلحة من ؟

إنه بلا شك لمصلحة الاستعمار والمستعمرين واذنابهم في الوطن العربي) .

إياكم .. وسموم المستشرقين :

وتكشف الاديبة الاستاذة قمر كيلاني ، عضو اتحاد الكتاب العرب ، عن الذين كانوا سببا في هذا العداء ، فتقول : (لو عدنا الى نهايات القرن الماضي ، وبدايات القرن الحالي ، لوجدنا أن التراث عموما ، لم يظهر الى النور الا على يد المستشرقين ، والعلامات المشبوهة التي لوحظت فيما بعد على المستشرقين ، ومادسوه على التراث العربي أصبح معروفا .. قليل منهم كان مخلصا وموضوعيا ، ووصلت الى الذين درسوا على أيديهم من الاكاديميين ، ومن الباحثين ، ومن الذين تشبعوا بالثقافات الغربية، فهؤلاء بحسن نية أو بسوء نية ، تناولوا التراث بهذا الاسلوب ، فهم سلفا مصادرون من حيث اسلوب تفكيرهم ، لأنهم إما درسوا التراث عن طريق الاستشراق ، وإما درسوا على أساتذة وفي جامعات لها هذه الاساليب .

ومن ناحية أخرى هناك بعض الدعوات السياسية التي تتلبس بعض الباحثين والدارسين فيتناولون التراث تناولا يخدم هذه الدعوات ، او يخدم هذه الايديولوجيات ، او يخدم هذه العقائد المنحرفة ، وهنا يكمن الخطر .

احذروا .. تمزيق هذه الامة :

ويربط الاستاذ مدحة عكاش ، رئيس تحرير مجلة الثقافة ، بين اللغة والتراث ، ليدعو الى التمسك بلغتنا السليمة ، من خلال إجابته التالية :

(أية أمة لا يمكن ان تقوم بغير فكر .. والثقافة هي فكر الامة ، وهي كالعقل بالنسبة للجسد .. تصور جسدا بلا عقل ، ماذا تراه يفعل ؟ إنه يخرب على كل الاصعدة ، وهكذا)

وما هو وعاء الفكر ؟ بالتأكيد هو اللغة ، كيف نتوجه بأفكارنا للناس ؟ اليس عبر اللغة ؟

من هذا المنطلق أرى ان الحملات التي يتعرض لها التراث العربي ماهي الا لتمزيق هذه الامة عبر تمزيق لغتها وتشتيت فكرها ، وإذا كان الانسان عدو مايجهل ، فكذلك الانسان المعاصر هو يعادي تراثه لأنه يجهله ، أما من تخدم هذه الحملات ؟ فهي لا تخدم الا اعداء الامة ..

الأمة العربية يجب أن تستيقظ ، وهذه اليقظة لا تكون الا عبر الفكر ، والفكر لا يمكن التوجه اليه الا عبر اللغة السليمة الصحيحة ، التي تربط الحاضر بالماضي ، وتتوجه به نحو المستقبل) .

تفكر الجهلاء :

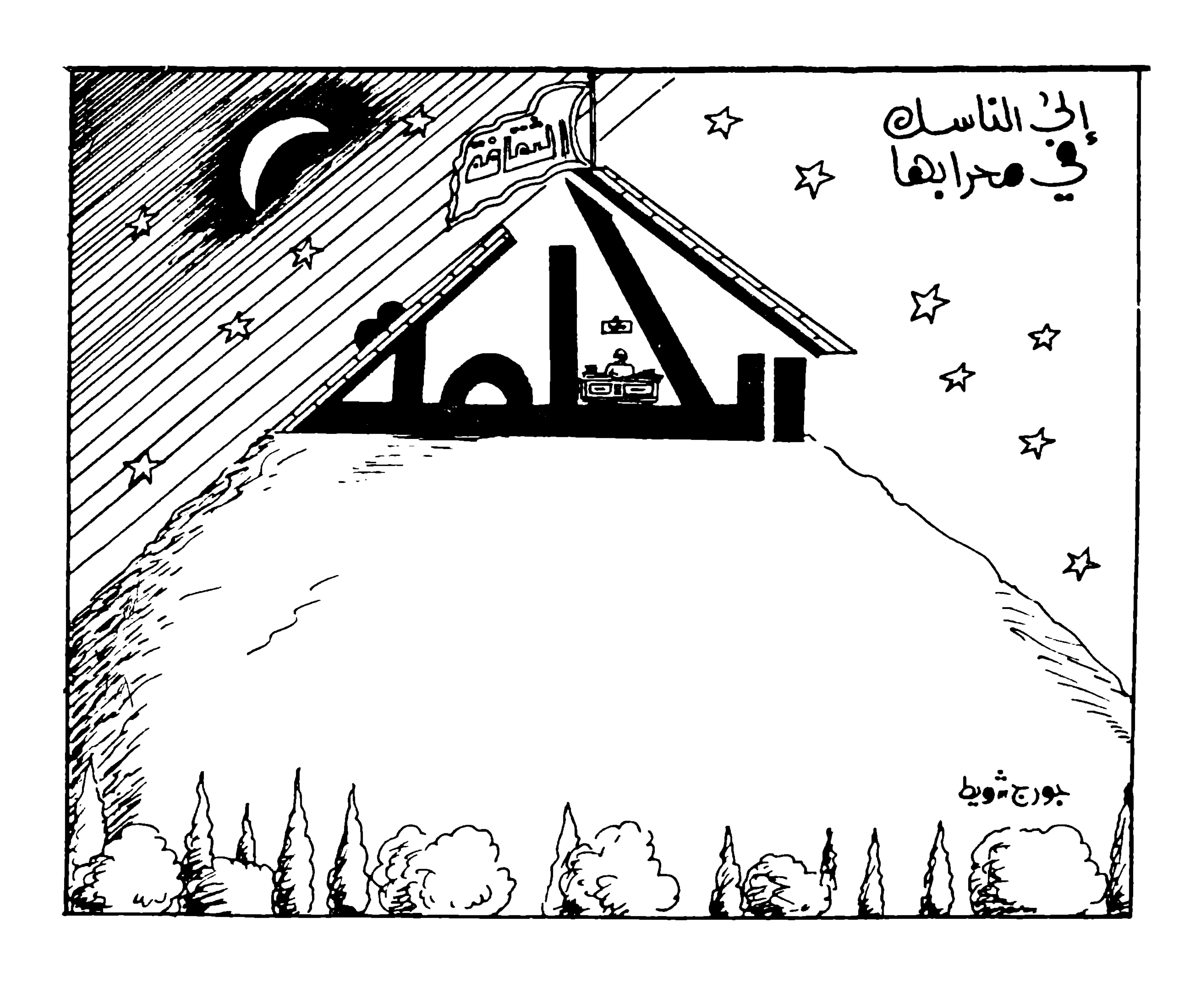
ويرى الدكتور عبد الله باقازي ، عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ان (التنكر للتراث لا يأتي الا من جاهل به وبكنوزه .. اما التحامل عليه فهو عائد الى الجهل به من زاوية ، والى الشعور بالنقص والدونية ، عند من يعانون من الاحساس بالنقص ازاء التأثر بموجات التأثر المغرضة ، التي تصور تراث الامة العربية والاسلامية وكأنه متخلف وغير متجدد من زاوية أخرى .. وفي ظل الجهل بالشيء لن يستقيم تقييم لهؤلاء ، فهم جهلة ، وعندما يدركون سيعرفون مقدار جهلهم وقصورهم وحكمهم على شيء لا يتصورونه والحكم

على الشيء فرع من تصوره) .

أمل بالعودة :

ولقد تركنا الاجابة الاخيرة لرئيس نادي أبها الادبي في المملكة العربية السعودية ، الاستاذ محمد عبد الله الحميد ، لما فيها من أمل كبير بعودة الشباب المتنكرين للقديم والمنخدعين بالجديد ، الى أصالتهم والى تراث اجدادهم ، بعد ان يكتشفوا زيف مانبهروا به ، يقول الاستاذ الحميد : (لكل جديد دهشة ، وبعض الشباب ينبهرون بهذا الجديد الوافد لفترة من الزمن .. ولكنهم سرعان ما يعودون الى أصالتهم متمسكين بها ، ومنطلقين منها الى افاق مختلفة في عالم الادب)

اعداد تميم الحكيم



الى الاستاذ أحمد الخوص صاحب قصة الاعراب

شعر : خضر الحمصي

نلت بالمجد علا أم سؤددا ؟
عندما الفجر لعينيك شدا
عمل قمت به ملتزما
نصرة العلم فكنت الفرقدا
صغت للاعراب أوفى قصة
مثل نبراس به الطفل اهتدى
هزم الليل وغنت للضحى
باسمات الصبح والنور ابتدا
وسما الورد ورانت روضة
يوم هل العطر وانساب الندى
أحمد حققت مجدا رائعا
يوم صنت الحرف علما وهدى
كل طفل في بلادي وردة
مد للورد جناحا ويدا
قصة الاعراب في أثوابها
منهل يعطي وكنز يفتدى
انما أطفالنا أكبادنا
وبهم نبني شموخا أمجدا
فاسقنا العلم الذي سجلته
ولك الشكر على طول المدى